شرح

كتاب اعتقاد أهل السنة

للإمام

أبي بكر الإسماعيلي ت ٣٧١هـ

للشَّيْخِ الدُّكْتُور:

سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[المجلس الأول]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بَعْد؛

فإن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم مرحبًا بوصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرحبًا بطلاب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغ السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب، أيها الفضلاء إن قيام الدين على أمرين عظيمين: الاعتصام بحبل الله عَزَّ وَجَلَّ وعدم التفرق، كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والاعتصام بحبل الله لزوم الكتاب والسنة، وعدم الروغان عنهما أبدًا، وينبغي لمن حقق الأمر الأول أن يحرص على تحقيق الثاني.

فيحرص على الجماعة، والألفة، واتحاد الكلمة، وطرد وسوسة شياطين الإنس والجن التي تسعى في تفريق أهل الحق عن الحق، وطالب العلم الذي يسر الله له أن يعتصم بحبل الله، ينبغي عليه أن يكون في الحق حبلًا أن يجمع لا سيفًا يقطع، وإن مما يحقق ذلك: العلم النافع، فإن العلم النافع نور ينطفه به الظلام، وتندفع به الشبهات الشداد العظام، العلم النافع كالنخلة كل ما فيها

نافع، والجهل شجرة كل شجر، فما من شر يقوم إلا وهو يرتضع من لبن الجهل، ولذلك ينبغي على أهل السنة والجماعة أن يعظم اعتنائهم بالعلم النافع تعلمًا وتعليمًا ونشرًا وبثًا مع الاهتمام بدعوة الغير إلى الخير، فينبغي أن يقترن بالعلم النافع الأدب، أدب العلم طلبًا وأداء، وأدب التعامل، فإن الأدب حلم العلم، ولا شك أن العلم إذا عرى عن الأدب قد يسبب المفاسد العظام، وقد كان سلفنا الصالح يعتنون بالأدب أعظم من عنايتهم بالعلم، كانوا يعتنون بالعلم عناية كبرى، ولكنهم يعتنون بالأدب أعظم من عنايتهم بالعلم، ولذلك وصيتي لنفسي وإخواني أن نحرص على العلم النافع وأن نبقى نتعلم ما بقيت الروح في الجسد، مع الحرص على الأدب والعمل به.

أيها الإخوة إن الكتاب الذي بين أيدينا هو: "كتاب اعتقاد أهل السنة" للحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الشافعي من شيوخ الشافعية، حتى لقب رَحِمَهُ اللَّهُ بشيخ الشافعية، مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة (٣٧١هـ) من هجرة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو قريب عهد بالقرون المفضلة، بل إنه رَحِمَهُ اللَّهُ ولد في القرن الثالث الهجري وهو من القرون المفضلة، وكتابه هذا الذي بين أيدينا من الكتب التي أبانت عقيدة أهل السنة والجماعة التي اتفقوا عليها، وميزوها عن عقائد الفرق المخالفة بألفاظ بينة واضحة، وعقيدة أهل السنة والجماعة مطابقة للقرآن معنى وكثير منها مطابق للقرآن لفظًا، وهي موافقة لسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليها إجماع صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي موافقة للفطرة، فلا حيرة فيها، ولا اضطراب عند أهلها.

وهي موافقة للسان العربي لا اعوجاج فيها ولا حيدة عن قواعد اللغة العربية ومعانيها، وفيها الوسطية الحقة، وفيها لزوم الكتاب والسنة، وهي بعيدة عن الإفراط والتفريط، وينبغي لطالب العلم أن يعتني بدراسة العقيدة مهما كان تخصصه، إن تخصص في الفقه أو تخصص في اللغة أو تخصص في الحديث أو تخصص في التفسير، ينبغي عليه أن يعتني بدراسة العقيدة، وأن يكرر ذلك، وألا يمل من دراسة العقيدة؛ حتى قال بعض أهل العلم: إن كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ من الكتب التي ينبغي كلما فرغ منها طالب العلم أن يرجع إليها، لا ينبغي علينا أيها الإخوة أن نمل من دراسة العقيدة ولا من تدريسها، ولا ينبغي لنا أن نخضع بالأقوال الباطلة التي تقول: إن سمعنا عن التوحيد كثيرًا، سبحان الله إن هذا لفضل وشرف، إن نبينا صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظل يدعو إلى التوحيد من أول يوم بعث فيه إلى آخر يوم له في هذه الدنيا، في اليوم الذي فارق فيه هذه الدنيا وهو الذي علم أصحابه رضوان الله عليهم كان يأمر بالتوحيد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وينبغي على لطالب العلم أن يحرص على أن توصيل عقيدة أهل السنة والجماعة إلى الناس بوجه باسم، ولسان بليغ، وأسلوب طيب على طريق نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال ربه له: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾ [يوسف: ١٠٨]، الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شافعي المذهب في الفقه؛ حتى كما سمعنا لقب بشيخ الشافعية، والمتقدمون من أهل العلم على عقيدة واحدة، هي عقيدة صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن انتسبوا إلى إمام في الفقه، فإنهم يعلمون ويقررون أن عقيدة إمامهم هي عقيدة أهل السنة والجماعة، الإمام الإسماعيلي شافعي المذهب، وقد نقل في هذا الكتاب إجماع أهل السنة، أهل الحديث على هذه العقيدة، ومثله أيضًا عدد من أئمة الشافعية، كالمزني تلميذ الشافعي والآجروي الشافعي واللالكائي الشافعي، والصابوني الشافعي، ولا شك منصف أن عقيدتهم عقيدة أهل السنة والجماعة.

وإنك يا عبد الله لتعجب غاية العجب من أقوام ينتسبون للإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الفقه، ولا شك أنه إمام، ملئ الدنيا علمًا رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة، وقد أجمعت الأئمة على إمامته، لكن أولئك القوم ينتسبون إليه في الفقه ثم ينقصون عن عقيدته، وينتسبون إلى غيره، ويا للعجب إن كان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ على العقيدة التي اعتقدوها فلما ينسبونها إلى غيره وهو الإمام، وإن كان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ على عقيدة غير العقيدة التي هم عليها فيلزمهم أمران:

إما أن يسقطوا الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإمامة، فإن من فسدت عقيدته لا يصلح أن يكون إمامًا وحاشاه رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي عنه أن تسقط إمامته.

والأمر الثاني: أن يترك اعتقادهم المخالف لعقيدة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذا المتعين عليهم.

والإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا ينقل عقيدة أهل السنة والجماعة، ولا شك أنه يعلم أن عقيدة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ هي هذه العقيدة، وإلا لما اتخذه إمامًا، فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرينا والمسلمين الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وألا يجعله ملتبسًا علينا فنضل، نبدأ بقراءة هذا الكتاب وسنشرحه إن شاء الله شرحًا مختصرًا مفيدًا في أربعة مجالس.

قال رَحِمهُ اللَّهُ: (اعْلَمُوا -رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ-)، كل أمر عظيم يوطأ له أهل العلم بقولهم: اعلموا، أو بقولهم: اعلم، فمراد المصنف من قولهم: **(اعْلَمُوا)** أن يذكر أن هذه العقيدة مطابقة للحق مطابقة لازمة، فما فيها علم فعليك أن تعلمها علمًا مطابقًا للواقع، وأن تعتقدها اعتقادًا جازمًا، **(-رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ-)**، عادة العلماء التوطئة بما يقرب القلوب، ومن ذلك الدعاء لمن تخاطبه، فعندنا تخاطب إنسانًا ادع له بما يقرب قلبه، وبما يلين قلبه ليسمع كلامك، ويسمع الحق، **(اعْلَمُوا -رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ- أَنْ مَذْهَبُ)**، المذهب هو الطريق المسلوك، والمنهج المقصود به هنا ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة باتفاقهم.

(أَنْ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَدِيثِ)، يسمون أهل الحديث لأنهم يستدلون بالقرآن لا يفرقون بين آياته، ويستدلون بالأحاديث الثابتة لا يفرقون بين أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يردون حديثًا ثابتًا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا علة له، ولا معارض له يساويه أو أقوى منه لا في عقيدة ولا في عمل، كل من عند ربنا، بل كل وحي من الله عَزَّ وَجَلَّ، فالعبرة عند أهل السنة والجماعة بالثبوت، ويفهمون ذلك بفهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك استحقوا هذا اللقب الشريف، وهذا الاسم العظيم المنير: أهل الحديث.

(أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)، يسمون أهل السنة لأنه يلزمون السنة ويأمرون بلزوم السنة، وسُموا بالجماعة لأنهم يجمعون على الحق، ويأمرون بالجماعة، ويلزمون الجماعة، قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **(الْإِقْرَارُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)**، الإقرار بالله، الإقرار عبر به المصنف وعدل عن قول: الإيمان، ومراده بهذا والله أعلم: أن يُبين أن الإيمان ليس تصديقًا مجردًا، وإنما هو تصديق مع تسليم وإذعان وانقياد، تصديق مع تسليم وخضوع وإذعان وانقياد، ولذلك الإيمان يدخل فيه الاعتقاد

والقول والعمل كما سيأتينا إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، والإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ والإقرار بالله عَزَّ وَجَلَّ يكون بالإيمان بوجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا يتفق عليه البشر، إلا من شذ مكابرة وعنادًا، وإلا فالآيات الدالة على وجود الله عَزَّ وَجَلَّ أظهر من أن تُنكر، الآيات النقلية والآيات الكونية والآيات الحسية، والآيات النفسية، كلها تدل على وجود الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولذلك هؤلاء الملحدون الذين يزعمون أنهم لا يقرون بوجود الله عَزَّ وَجَلَّ هم مكابرون، وهم مستيقنون في أنفسهم بأنهم كاذبون، لكن لهم أغراض دنيوية منحرفة، يريدون الوصول إليه عن طريق هذه الدعوى الكاذبة التي يعلمون كذبها، ويدخل في الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ الإيمان بربوبية الله وتوحيده في ذلك، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من له الخلق والملك والرزق والتدبير، وأيضًا يدخل فيه الإيمان بألوهيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتوحيده بهذا، وهو المعروف بتوحيد العبادة، وهو الذي جاء به الرسل وخالفهم أقوامهم فيه، وقاتلوا أقوامهم من أجله، ويدخل فيه كذلك: الإيمان في أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ وصفاته على معانيها الظاهرة على الوجه اللائق بجلال الله وجمال الله وكمال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في هذا الكتاب لم يذكر إلا توحيد الأسماء والصفات، فما السر في هذا؟ لماذا لم يذكر توحيد الربوبية؟ ولم يذكر توحيد الألوهية؟ فالجواب: أن توحيد الربوبية كان ولا يزال، يقر به كل إنسان إلا من شذ عنادًا ومكابرة، فلم يقع فيه في الحقيقة نزاع بين الرسل وأقوامهم، ولا يقع فيه نزاع إلا عند الشذوذ، وأما توحيد الألوهية فإنه في زمن الإسماعيلي والأئمة المتقدمين لم يكن فيه نزاع، بل كان الأمر مستقيمًا على توحيد الألوهية، وإنما وقع النزاع وظهرت الفرق في توحيد الأسماء والصفات، وفي هذا جواب عن سؤال يورده بعض الناس على سبيل الشبهة، ويقول: إن المتقدمين لم يذكروا توحيد الألوهية، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب اعتنى بتوحيد الألوهية، وذكر توحيد الألوهية، فنقول: إن المتقدمين ذكروا توحيد الأسماء والصفات واعتنوا بذلك تفصيلًا لأن الحاجة كانت داعية إلى ذلك، لأن الفرق المخالفة كانت مخالفتها في هذا الباب.

وأما في زمن المتأخرين فقد كثر الانحراف في توحيد الألوهية، وصار بعض الناس يعبدون غير الله وهم يظنون أنهم يعبدون الله، فكانت الحاجة داعية إلى تقرير توحيد الألوهية، وتكرير ذلك، (الْإِقْرَارُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ)، الإيمان بملائكة الله عَزَّ وَجَلَّ يكون بالإيمان بوجودهم، وأنهم خلق خلقوا من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون، وأن عددهم كثير، لا يحصي عددهم إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن الله يأمرهم ويرسلهم بما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن ذلك أنه سبحانه كان يرسل جبريل عليه السلام بالوحي، نؤمن بما جاء فيهم تفصيلًا على وجه التفصيل، ونؤمن بما جاء فيهم إجمالًا على وجه الإجمال.

قال: (الْإِقْرَارُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ)، الإيمان بالكتب هو تصديق الجازم بأنها عند نزولها حق وصدق من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفيها الهدى والنور، أنزلت على الأنبياء عليهم السلام، نؤمن بها على سبيل الإجمال، ونؤمن بما ورد على سبيل التفصيل، ونؤمن أيضًا أن القرآن الذي أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهيمن على تلك الكتب، وأن القرآن هو الذي حفظه الله، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]، وأن الكتب السابقة قد دخلها التحريف والتبديل، وما بقي فيها من خير لم يبدل رفع بالقرآن الكريم، وهيمن القرآن الكريم على كل تلك الكتب.

قال: (وَرُسُلِهِ)، الإيمان بالرسل، الإيمان بأنهم الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ دينه، والإقرار برسالتهم ونبوتهم، وأنهم صادقون لا يكذبون، الإقرار بمن فصل منهم على سبيل التفصيل، والإقرار بما أجمل عنهم على سبيل الإجمال.

قال رحمه الله: (وَقَبُولُ مَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ وَمَا صَحَّتْ بِهِ الرِّوَايَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا نَعْدِلُ عَمَّا وَرَدَ بِهِ وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ رَدِّهِ)، هذا بيان طريق أهل السنة والجماعة في دينهم كله، في تقرير عقيدتهم وفي تقرير عباداتهم، وفي تقرير معاملاتهم، وهو قبول ما في كتاب الله من غير تفريق بين آياته وقبول، ما صحت به الرواية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تفريق بين أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدين كله، لا يفرقون بين المتواتر والآحاد من حيث الحجية، بل الكل وحي، والكل حجة، والتفريق بين المتواتر والآحاد في الحديقة بدعة حادثة، ما كانت في زمن السلف الصالح رضوان الله عليهم، ويلزمون ذلك لزومًا تامًا، لا يعدلون

عنه، ولا يردون شيئًا منه، ولا يسع مؤمنًا أن يرد شيئًا من القرآن والسنة، إلا أن يعارض بمثله وتكون المعارضة في نظر المجتهد.

فيوفق بين الدليلين: كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرد إليهما ولا يردان، هذا منهج أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا، كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرد إليهم ولا يردان، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾ [النساء: ٥٩].

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (إِذْ كَانُوا مَأْمُورِينَ بِاتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَضْمُونًا لَهُمُ الْهُدَىٰ فِيهِمَا، مَشْهُودًا لَهُمْ بِأَنْ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، مَحْذُرِينَ فِي مُخَالَفَتِهِ الْفِتْنَةَ وَالْعَذَابُ الْأَلِيمِ)، أيها الفضلاء هذا تعليل عظيم للزوم أهل السنة والجماعة للكتاب والسنة، وكأن سائلًا سأل الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ لماذا يلزم أهل السنة والجماعة الكتاب والسنة بلا عدول عنهما، لماذا لا يطلقون لعقولهم العنان؟ لماذا لا يتحررون كما هي بعض الدعاوي الكاذبة الزائفة؟

فأجاب الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ بأن ذلك لأربعة أمور:

الأمر الأول: أنهم مأمورون أمر إيجاب وإلزام باتباع الكتاب والسنة، كما في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾ [الأعراف: ٣]، وقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)﴾ [آل عمران: ١٣٢].

الوجه الثاني والأمر الثاني: أن الهداية مضمونة باتباع الكتاب والسنة، ولا هداية فيما خالفهما، الكتاب والسنة نور فما يخالف الكتاب والسنة ظلام، فالضلال في مخالفة الكتاب والسنة، والهدى في اتباع الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال سبحانه: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

الأمر الثالث: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهدي هداية إرشاد ودلالة إلى صراط الله المستقيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

الرابع: التحذير من مخالفته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيان أن مخالفته تقود صاحبها إلى الفتنة، نعم والله إن أول الفتنة ترك ما عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما منتهاها فقد يصل إلى الشرك والعياذ بالله، ولذلك فسر جماعة من السلف الفتنة هنا بالشرك، أول الفتنة ألا يرى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هاديًا له هداية دلالة، ثم يرى أنه أبلغ في معرفة الدين من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قد يبلغ به الأمر إلى أن يشرك بالله ويكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومخالفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبب لاستحقاق العذاب الأليم، وسبب للذلة والمهانة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وجعل الذل والصغار على من خالف أمري» أخرجه أحمد وصححه الألباني، وقال ابن باز: ثابت، رحم الله الجميع.

فمن أراد العزة عليه بالسنة، من أراد العزة لقومه عليه بالسنة، من أراد العزة لبلاده فعليه بالسنة، أما من خالف الكتاب والسنة فلا ينتظر إلا الذلة، لا ينتظر إلا المهانة، والله إن صاحب السنة عزيز وإن كان فقيرًا، عزيز وإن كان عند الناس مستصغرًا، العزة قد جعلها الله لمن تمسك بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمهانة والذلة قد ضربها الله على من خالف سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه الأمور الأربعة ينبغي لطالب العلم أن يجعلها دائمًا على باله أن يتذكرها حتى يلزم الكتاب والسنة، ولا يحيد عن ذلك أبدًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مَدْعُوٌّ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ)، هذا يتضمن أنهم يقرون لله بأسمائه الحسنى، وانها توقيفية، وأن لها معاني، وأنها تضمن صفات، وأن الله يدعى بها، يعتقدون ذلك فيدعون الله بأسمائه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، **قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِهِ الَّتِي سَمَّىٰ وَوَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهَا نَبِيُّهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)**، ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عرفنا بنفسه، عرفنا بما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي هي صفات الجلال والكمال في كتابه الكريم وفي سنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكل عاقل يدرك أن كل ذات لا

بد أن تكون لها صفات، وأن الذي ليس له صفات هو العدم، ولذلك قال بعض السلف عن الذين ينفون صفات الله: أنهم يعبدون عدمًا.

فكل ذات لا بد أن تكون لها صفات، فالذي ليس له صفات إنما هو العدم، والمؤمن يصدق الله عَزَّ وَجَلَّ، ويصدق رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يقدم على قولهما شيئًا، فكل ما يخالف قول الله وقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو جهل وضلال وظلام، سموه عقلًا أو غير ذلك، ولذلك أهل السنة والجماعة يؤمنون بأسماء الله وصفاته، بمعانيها الحقيقية الظاهرة على المعنى اللائق بجلال الله وبجمال الله وبكمال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من غير تعطيل ولا تحريف، ولا تمثيل ولا تكييف، فالصفات مبنية على التوقيف، فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله -- ((٣٥:٣٧)) – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يتجاوز القرآن والحديث، وذلك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غيب، **والغيب كما يعرف العقلاء يعرف بإحدى طرق ثلاث:**

الأولى: أن يشاهد، وهذا لا يكون في حق الله في الدنيا، كما سيأتينا إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

والثانية: أن يرى مثله، فيعرف بمثله، فلو سألك سائل عن شيء في مدينة أخرى وله مثل في مدينتكم فإنك تقول: له مثل هذا، وبهذا يعرفه، مع أنه غائب عنه، وهذا أيضًا محال في حق ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿لَيس كَمِثْله شَيءٌ وهو السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والثالثة: أن يخبر عنه عارف به صادق، وهذه الطريقة التي نعرف بها ربنا يقينًا، ولا يكون ذلك إلا بالقرآن والسنة، وليس وراء ذلك إلا الهوى والظن الذي لا يغني من الحق شيئًا، الأمر في هذا الباب إما وحي يتبع وإما هوى مبتدع، إما أن يكون الإنسان معي الوحي ومع اتباع الوحي وإما أن يكون مع الهوى والبدعة، هذا الباب مُحكم، فالأمر فيه أحد أمرين: إما وحي يتبع وإما هوى مبتدع.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (خُلِقَ آدَمُ بِيَدِه)، نعم أهل السنة والجماعة يثبتون اليد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، يعني ما منعك يا إبليس أن تسجد لمخلوق خلقته وشرفته من بين المخلوقات التي خلقتها بكن أني خلقته بيدي، وما ذاك إلا لمخلوقات قليلة شرفها الله عَزَّ وَجَلَّ بذلك، قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: خلق الله

أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وآدم، وجنة عدن، هذه الأمور الأربعة خلقها الله بيده تشريفًا لها وإظهارًا لشرفها، تلحظوا يا إخوة أن الله عَزَّ وَجَلَّ قال لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ما قال إبليس لربه: وأنا كذلك، ما قال: وأنا كذلك، لو كان الخلق بالقدرة لقال: وأنا كذلك، لو كان الخلق بكن لقال إبليس: وأنا كذلك، لكن إبليس أعلم بكلام الله من كثير من الناس.

فأهل السنة والجماعة يثبتون اليد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يدان على وجه الحقيقة، على ما يليق بجلال وجمال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (وَيَدَاه مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ بِلَا اعْتِقَادِ الْكَيْف)، قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤]، بالمناسبة علماء الأداء في القرآن يقولون: إن لتلاوة القرآن آدابًا، يلحظ فيها مضمون الآية، فقراءة كلام الله أعني قول الله في الآيات ليس مطلق كلام الله الذي هو القرآن، يلاحظ فيها الأدب، وكلام المخالفين يلاحظ فيها أيضًا الأدب، ومن ذلك مثلًا أنهم ذكروا في هذه الآية في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، قالوا: يخفض بها الصوت، ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤]، قالوا: يرفع بها الصوت، وهذا عند أهل الأداء يسمى بآداب التلاوة، يلحظ فيه المضمون.

على كل حال قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، فيدا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ملآى مبسوطتان ينفق كيف يشاء، لا ينقض ذلك من ملكه شيئًا، وهذه الآية نص في أن يد الله يد حقيقية، لأن الذي يقبض ويبسط هو اليد الحقيقية، وكل ما أول به المؤولون لا يمكن أن يقال فيه: يقبض ويبسط، فهذه الآية نص في أن يد الله يد حقيقية، ولذلك جاء بها الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هنا؛ أعني معناها.

طبعًا قال: (بِلَا اعْتِقَادِ الْكَيْف)، هذه النقطة لا بد أن نفهمها: (بِلَا اعْتِقَادِ الْكَيْف)، أي من غير تكييف، لم؟ لما قدمناه أن الله غيب، والله عَزَّ وَجَلَّ لم يخبرنا بالكيف، ونحن على يقين أن الله أخبرنا

بما يصلحنا، وما لم يخبرنا الله به فذلك لحكمة عظيمة، الله عَزَّ وَجَلَّ لا يسأل في باب صفاته عنه بكيف، **وكيف يراد بها أمران:**

الأمر الأول: معرفة الكيفية، كيف يعني ما كيفية هذه الصفة.

والأمر الثاني: الاعتراض، لو قلت لكم مثلًا: البارحة سرت من إندونيسيا إلى السعودية بلا طائرة، كلكم ستقولون: كيف؟! هذا لا تسألوني كيف لأنكم تعتقدون أن هذا حصل، لكن هذا اعتراض، فعندما يسأل بكيف يراد به أحد هذين الأمرين أو الأمران جميعًا، وهذا لا يجوز في باب صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا السؤال عن الكيفية ولا سؤال الاعتراض، والذي ينفى إنما هو التكييف، والسلف الصالح رضوان الله عليهم كانوا ينفون السؤال بكيف ويرون ذلك بدعة، ولا شك أنه طريق فساد، وطريق انحراف في باب أسماء الله وصفاته.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **(وَأَنَّه جَلَّ وَعَلَا اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ بِلَا كَيْفٍ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْهَىٰ إِلَيَّ)**، وفي بعض النسخ: إلي، يعني إلي بالآيات والأحاديث، **(أَنَّهُ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ، وَلَمْ يَذْكُرْ كَيْفَ كَانَ اسْتِوَاؤُه)**، العرش في لغة العرب هو سرير الملك، قال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]، وعرش الرحمن هو سرير الملك، له قوائم مخلوق عظيم، لا يعلم قدره إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله سبحانه ربه، فهو رب العرش العظيم، فهو مخلوق وهو أول المخلوقات على الراجح، فيه اتساع عظيم، وعلو وحسن باهر، وبهاء ظاهر، وهذا العرش العظيم تحمله الملائكة، فالله ربنا قد استوى على عرشه، كما جاء ذلك نصًا في سبعة مواضع من القرآن، والسلف وهم أعلم الأمة بالقرآن والسنة، وأعرف بلغة العرب، وأعلم بما يليق بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عرفوا استووا هنا بمعنى على وارتفع وصعد واستقر.

وهذا في غاية الكمال، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)﴾ [طه: ٥]، ونحن نؤمن باستواء ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على ما يليق بجلال ربنا وجماله وكماله، لا نؤول ولا نشبه ولا نكيف، نقول كما قال سلفنا: الاستواء معلوم غير مجهول المعنى، لا في لغة العرب ولا في فهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق، والسؤال عن الكيف بدعة، ونفي الاستواء بدعة، وتأويل الاستواء بدعة، كل ذلك

مخالف لنص الكتاب والسنة، وما أجمع عليه صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنك يا عبد الله لتعجب من قوم يعمدون إلى قول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)﴾ [طه: ٥]، والاستواء فيه معدى بعلى التي هي في لسان العرب نص في الارتفاع، ولا يمكن أن تأتي في لغة العرب بغير هذا المعنى، فيؤولونها بـ استولى، فيا العجب.

هل يقال: استوى الرحمن على الأرض؟ هل يقال: استوى الرحمن على القمر؟ لا والله لا يقال، لم يرد ذلك ولا يقوله أحد، ما سمعنا أحدًا يقوله، ولو كان معنى استوى استولى لساغ أن يقال ذلك، لساغ أن يقال: استوى على الأرض، استوى على القمر، ولكن هذا ممتنع في حق الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم كل عاقل يدرك أن الاستيلاء فرع المغالبة، فمعنى الاستيلاء أن يغالب على شيء فيغلب واحد فيستولي عليه، وهذا محال في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمن الذي غالب الله من خلقه؟! لا والله ما كان ولا يكون، ثم سبحان الله من أين جاؤوا به؟ ما وجدوه في الكتاب ولا وجدوه في السنة، ولا وجدوه في صحيح الشعر، ولا وجدوه في فصيح اللغة، ولا وجدوه في لسان صحابي، ولا وجدوه في لسان تابعي، وجدوه في بيت ينسب إلى نصراني وهو الأخطل، ليس من أهل الديانة، ولا من أهل اللغة.

وأعظم من ذلك وأطم أن هذا البيت مصنوع وليس من شعر الأخطل، وليس في ديوان الأخطل، مع كل هذا السقوط هو أصلصا مصنوع منحول، ليس من شعر الأخطل، فالمؤمن يؤمن بأن ربه الرحمن قد استوى على العرش على المعنى الحقيقي اللائق بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، (وَلَمْ يَذْكُرْ كَيْفَ كَانَ اسْتِوَاؤُه)، كما قلنا: يعني في مسألة التكييف.

قال: (وَأَنَّهُ مَالِكُ خَلْقِه، وَأَنْشَأَهُمْ لا عَنْ حَاجَةٍ إِلَىٰ مَا خَلَقَ، وَلا لِمَعْنًى دَعَاهُ إِلَىٰ أَنْ خَلَقَهُمْ، لَكِنَّه فَعَّالٌ لِمَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَالْخَلْق مَسْئُولُون عَمَّا يَفْعَلُونَ)، الله عَزَّ وَجَلَّ خلق الخلق وأنشأهم من العدم، وهو المالك لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال ربنا: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وهو الغني عن كل خلقه، وكل خلقه فقراء إليه، خلقهم بحكمة ولحكمة، فربنا سبحانه لا يفعل شيئًا عبثًا، كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)﴾

[الذاريات: ٥٦]، وهو سبحانه لا يسأل عما يفعل، لم؟ لكمال فعله، وكمال حكمته، فلا مجال لأحد أن يسأله، لا مجال، الله عَزَّ وَجَلَّ عليم حكيم، فمن ذا الذي يسأله؟! علمه محيط كامل شامل، وحكمته تامة، ففعله عن علم محيط، وحكمة تامة، فلا يسأل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم هو سبحانه سيد مالك، والخلق عبيد مملوكون، والخلق خلقه والأمر أمره.

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يريد كونًا وقدرًا وشرعًا وأمرًا لحكمة، لا يخلو خلقه وفعله عن حكمة، ولا يخلو أمره وشرعه عن حكمة، فما أراده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حم به حكمًا موافقًا لحكمته، وهو سبحانه يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه، فمهما فعل فعدل وحكمة، كما قال ربنا سبحانه: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، فالله يفعل ما يشاء بلا عجز، وهو على كل شيء قدير، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له القدرة الشاملة الكاملة، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

ثم ألحظوا يا إخوة أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (وَأَنَّهُ مَدْعُوٌّ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَمَوْصُوف بِأَسْمَائِهِ الَّتِي سَمَّىٰ وَوَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ وَسَمَّاه وَوَصَفَه بِهَا نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)، هل مر بكم هذا؟ هل مر هذا؟ قبل قليل، وهذا في الحقيقة تكرار، تكرار لنفس الجملة، وأيضًا ستلحظون أنه فصل بين كلامين متصلين مما يؤكد أنه تكرار، ولعل سبب ذلك والله أعلم يرجع إلى أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يُملي، والذي يُملي يكرر أحيانًا كلامه، ويقول كلامًا ثم يرجع إليه، كما تلحظون في دروس جميع المشايخ، تجد أن الشيخ يقرر شيئًا ثم ينتقل إلى شيء ثم يعود إلى الذي قبله لأنه رأى مثلًا أنه ما أبانه جيدًا أو نحو ذلك، فلعل هذا والله أعلم هو سبب ذلك، أو أن هذا وقع سهوًا من الناسخ، فالذي ينسخ وخاصة الذي يكتب يحصل له ذلك، فيقع نظره على نهاية كلمة تشبهها كلمة قبلها فينقل الكلام سهوًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)، هذا الذي قلته لكم أنه متصل بالذب قبله، وقد تقدم الكلام عنه في الكلام الذي قبله، قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَلَا يُوصَفُ بِمَا فِيهِ نَقْصٌ أَوْ عَيْبٍ أَوْ آفَةٍ؛ فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ)، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منزه عن النقص والآفات والعيوب، فصفاته الثابتة في الكتاب والسنة كلها أوصاف كمال، ومن فهم منها نقصًا فذلك

لسوء فهمه، وسوء معرفته بلغة العرب، وسوء معرفته بالكتاب والسنة، وسوء أدبه مع ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا شك أن كل مؤول للصفات أو ناسٍ لها فهم منها نقصًا، دعاه إلى نفيها أو تأويلها، فكان ما فر منه فهو النقص في إثباتها ليس واقعًا، كان ما فر منه وهو النقص في إثباتها ليس واقعًا، وما فر به يستلزم نقصًا في سببه وفي حقيقته، يستلزم نقصًا في سببه الذي دعا إلى التأويل، وفي حقيقته، ثم إن كل وصف كمال للمخلوق لا يستلزم نقصًا فخالقه أولى به، كل وصف كمال للمخلوق لا يستلزم نقصًا فخالقه وواهبه ذلك الكمال أولى به.

وقولنا يا إخوة: لا يستلزم نقصًا احتراز من الكمال في نظر المخلوقين الذي هو نقص فيهم، فالولد فإن الذي يولد له ولد هذا وصف كمال عند الناس وذلك لنقص المخلوق فإنه يحتاج إلى من يكمله، يحتاج إلى ولده، فهو وصف كمال عند الناس، لكنه يستلزم نقصًا، وهذا منهي في حق الله عَزَّ وَجَلَّ، وكل نفي ورد في باب الصفات في الكتاب والسنة فليس نفيًا محضًا، فإن النفي المحض تمدح به، يعني ما عرفنا مثلًا لو سألت عن إنسان تقول: ما شاء الله تبارك الله إنه ليس أصم، إنه ليس أبكم، إنه ليس، هذا ما يستخدم في المدح، وإنما الذي يستخدم في الثناء والمدح هو الإثبات الذي فيه الوصف، كل نفي ورد في باب الصفات فليس نفيًا محضًا، وإنما يُراد به إثبات كمال ضده، كما في قول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، المراد: بيان تمام عدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أو يُراد به: رد سوء أدب المبطلين، يعني إما أن يُراد به إثبات كمال ضده، أو يراد به رد سوء أدب المبطلين، كما في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، ثم ألحظوا أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قال: **(وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ، وَيَدَاه مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ بِلَا اعْتِقَادِ كَيْفَ يَدَاه؛ إِذْ لَمْ يَنْطِقْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ بِكَيْف)**، الفقرة الحادي عشرة، الفقرة الثانية عشر مكررة فقد تقدما، والعذر في ذلك ما قدمناه، ومام يزيدك يقينًا من هذا أنه زاد بعض الكلمات المبينة هنا في قوله مثلًا: **(إِذْ لَمْ يَنْطِقْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ بِكَيْف)**، فهذا يدل على أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان يكرر الكلام لزيادة الإفهام، ولتأكيد المعنى، وهذا أقرب من القول بأنه سهو من الناسخ.

ثم ألحظ أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (وَلَا يَعْتَقِدُ فِيهِ الأَعْضَاءُ وَالْجَوَارِحُ، وَلَا الطُّولَ وَالْعَرْضَ، وَالْغِلَظَ وَالدِّقَّةُ)، ليست هذه عادة السلف في كتبهم، فلماذا قال الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هذا؟ أراد رَحِمَهُ اللَّهُ أن يُبين أن ما يقوله المبطلون من النفي المفصل في باب الصفات الذي يجعلونه سلمًا لنفي الصفات باطل، يبطلون منهجهم عكس منهج القرآن والسنة ومنهج السلف، عندهم النفي مفصل، وسبب هذا النفي المفصل أنه يريدون بذلك الوصول إلى نفي الصفات، فأراد الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الكلام أن يُبين أن طريقتهم باطلة في ذاتها وفي نتيجتها، فالسلف لا ينفون في باب الصفات نفيًا مفصلًا، بل ينفون نفيًا مجملًا بحكم تدعو إلى ذلك على نهج القرآن وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وما يقوله المقولة من أن إثبات الصفات يستلزم التجسيم، كل الذين يخالفون أهل السنة والجماعة في باب الصفات لماذا يصفون أهل السنة والجماعة؟ لأنهم مجسمة، أراد الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الكلام أن يُبين أن ما يقوله المؤولة من أن إثبات الصفات يستلزم التجسيم باطل قطعًا، ويقال لهم: أأنتم أعلم أم الله؟ وهل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم ما تقولون أو أرشد الأمة إلى ما تزعمون؟ لا ورب الكعبة، وهل الصحابة رضوان الله عليهم فهموا ما تقولون أو أولوا كما تؤولون؟ لا ورب الكعبة، فعندما قال الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا يَعْتَقِدُ فِيهِ الأَعْضَاءُ وَالْجَوَارِحُ ولا العرض والغلظ والدقة)، أراد أن يقول: إن إثبات الصفات ليس فيه تجسيم، ولا يؤدي إلى التجسيم، ولم يفهم سلف الأمة من إثبات الصفات التجسيم.

قال: (وَنَحْوُ هَذَا مِمَّا يَكُونُ مِثْلُهُ فِي الْخَلْقِ، فَأَنَّهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١])، سبحان ربنا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، تنزيه لربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن الشبيهة وعن المثيل، في هذه الآية نزه الله نفسه عن الشبيه وعن المثيل، والشبيه هو المقارب والمثيل هو المطابق، يقولون: أين ذلك؟ نقول: ذلك في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾ [الشورى: ١١]، الكاف فيها نفي التشبيه، لأن الكاف تستعمل للتشبيه، ولذلك الذين يقولون: إن الكاف هنا زائدة ويضربون ذلك مثالًا للمجاز هم مخطئون في هذا، فإن الكاف هنا ليست زائدة، بل لها معنى مقصود،

وهو: نفي الشبيه، ونفي المثل في قوله: ﴿كَمثْله﴾ [الشورى: ١١]، فالله عَزَّ وَجَلَّ ليس له شبيه وليس له مثيل، فلا يجوز في حقه التشبيه ولا يجوز في حقه التمثيل، لا يجوز في حقه سبحانه التشبيه، فيقال: يشبه كذا أو تشبه كذا، صفته تشبه كذا، ولا التمثيل، فيقال مثلًا: صفته مثل كذا ونحو ذلك.

وهو سبحانه السميع البصير، رد على المعطلة والمؤولة الذين يعطلون الصفات أو يؤولون الصفات لاعتقادهم أن الصفات تستلزم التشبيه، هذا رد على الطرفين، رد على المشبه والممثلة ورد على المعطلة والمؤولة، ويبقى أهل السنة، ما تبقى إلا عقيدة أهل السنة والجماعة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منزه عن صفات النقص مطلقًا، كالسنة والنوم وغير ذلك، وهو سبحانه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها على ما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا يماثله ولا يشابهه شيء من مخلوقاته في صفاته إلا في القدر المشترك، القدر المشترك الذي يُفهم من المعنى العام، يعني في حقيقة اليد، أما أن تشبه الصفة بالصفة ونحو ذلك، فهذا منفي في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (تَبَارَكَ وَجْهِ رَبِّنَا ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)، كما قال ربنا: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨)﴾ [الرحمن: ٧٨]، فربنا سبحانه ذو الجلال والعظمة والكبرياء، فتعاظم سبحانه وكثر خيره وتفضل على عباده بالنعم والآلاء، وقال سبحانه: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ [الرحمن: ٢٧]، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حي لا يموت، وله سبحانه وجه نعته سبحانه بأنه ذو الجلال والإكرام، فيبقى وجه الحي الذي لا يموت ذو الجلال والإكرام، **وفي ذلك:**

أولًا: إثبات لحياة ربنا على وجه الكمال.

وإثبات الذات لربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **هذا ثانيًا.**

وثالثًا: إثبات الوجه لربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وعبر ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالوجه للدلالة على حياته ليعلم الناس أن له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وجهًا، فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له الحياة الذاتية الكاملة التي ليس لها انقطاع ولا انتهاء، فلا تنقطع بنوم مثلًا، حياة الإنسان حتى وهو جالس في الدرس تنقطع بالنوم، فيغيب عنا، فهذا يقول العلماء: النوم انقطاع للحياة، فهو الموتة الصغرى، فحياة ربنا حياة كاملة لا تنقطع بالنوم، فإنه سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا انتهاء لها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال العلماء: في اسم الله الحي صفات كمال، وإضافة

الوجه إلى الله هنا إضافة وصف، يا إخوة إضافة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ إما أن تكون إضافة ذات مستقلة، فتكون الإضافة إضافة تشريف، الكعبة بيت الله، الكعبة ذات مستقلة معلومة، أضيفت إلى الله من بين المخلوقات التي خلقها الله، هذه الإضافة إضافة تشريف، أما إذا كانت الإضافة إضافة وصف فهذا توصيف، إضافة الذات المستقلة إلى الله تشريف، وإضافة الوصف إلى الله توصيف.

هذه قاعدة أهل السنة والجماعة، وهذا مقتضى الكتاب والسنة ولغة العرب، ووجه ربنا سبحانه موصوف بأنه ذو الجلال والعظمة، والهيبة والإكرام، وقد أجمع السلف على إثبات الوجه لله حقيقة، على ما يليق بجلال الله عَزَّ وَجَلَّ مع التنزيه عن التشبيه والتكييف، ونحن نقول بذلك بألسنتنا ونصدق ذلك بقلوبنا، والمعلوم يا إخوة لكل عاقل أنه لا يلزم من إثبات الحقيقة وجود التشبيه قطعًا، لا يلزم من إثبات الحقيقة وجود التشبيه، وأنا أضرب لكم مثالًا للتقريب: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، وجه الإنسان هل يقول أحد أنه ليس حقيقيًا؟ كل يقول: وجه حقيقي، وجه البقرة؟ وجه حقيقي بالاتفاق، وجه الحمار؟ وجه حقيقي بالاتفاق، هل يفهم عاقل أن وجه الإنسان يشبه وجه البقرة؟ هل لو إذا قلت لواحد أنت لك وجه حقيقي، قال: تشبهني بالبقرة، هل يفهم عاقل أن وجه البقرة الحقيقي يشبه وجه الحمار؟ وأنه ما ينفك التشبيه إلا بالمجاز؟ يعني هل في عاقل إذا قلت له وجه بقرة يذهب ينظر فيها ويذهب ينظر في وجه الحمار.

كذلك عندما نقول مثلًا: يد الإنسان، بالاتفاق هي يد حقيقية، يد الفيل؟ بالاتفاق يد حقيقية، يد النملة؟ بالاتفاق يد حقيقية، ما قال أحد أن هذا مجاز وهذا حقيقة، هل هذا يستلزم التشبيه، قطعًا لا يستلزم التشبيه، فالتلازم بين إثبات الحقيقة والتشبيه وهمي، قاد إلى مفاسد عظيمة، يُمكن قطعًا للإنسان أن يعتقد الحقيقة مع نفي التشبيه، ومع انتفاء الشبه، وهذا أمر واضح جدًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا يَقُولُونَ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ غَيْرُ اللهِ كَمَا يَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ وَطَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ)، هناك طوائف من أهل البدع قالوا: الاسم غير المسمى، وهذا يلزم عليه لوازم باطلة، قابلهم أناس قالوا: الاسم عين المسمى، وهذا أيضًا يلزمه لوازم باطلة، وفصل أهل السنة فسلموا من هذه اللوازم ومن تلك اللوازم، إذا قلت: إن الاسم غير المسمى يلزم أن تقول: إن أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ غيره، لأن الاسم غير المسمى، وما كان غير الله فهو مخلوق، فهؤلاء الجهمية والمعتزلة

ومن لف لفهم الذين أطلقوا أن الاسم غير المسمى قصدهم أن أسماء الله غيره وما كان غيره فهو مخلوق، وهذه المقولة محدثة فاسدة بذاتها، فاسدة بلوازمها، ولذلك قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: "إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة"، ولازمه الذي قصدوه باطل.

فإن لازمه ألا يكون لله اسم، ولا تكلم بكلام، بل كل ذلك مخلوق بائن عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولما كانت هذه المقولة مبتدعة وكان يترتب عليها مفاسد، ولا حاجة إليها وإلى الخوض فيها رأى بعض السلف ألا يتجارى مع أهل البدع في هذا، حتى قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "وأما القول في اسم فهو المسمى أم غير المسمى فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيتبع ولا قول من إمام يستمع، فالخوض فيه شين والصمت عنه زين، وحسب امرئ من العلم به والقول فيه أن ينتهي إلى قول الله عَزَّ وَجَلَّ ثناؤه، وهو قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]"، وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أن الاسم تارة يُراد به الاسم، وتارة يُراد به المسمى، فإذا قلت: قال الله، فإنك هنا تُريد المسمى، لو قلت مثلًا: قال عبد الله، فإن جميعًا نفهم أن المقصود المسمى بعبد الله، وتارة يُراد به الاسم، فإذا قلت: الله اسم عربي، أو قلت: الله عربي، فإن كل عاقل يُدرك أنك تقصد أن الاسم عربي.

فهنا يُراد به الاسم، وإذا فصل زال الإشكال، فلا يقال: الاسم غير المسمى بإطلاق، ولا يقال: الاسم عين المسمى بإطلاق، بينما يفصل على ما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، طبعًا كل ما ذكره الإسماعيلي في هذه العقيدة هو ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، يعني عليه إجماعهم، فهو ينقل الإجماع إجماع أهل السنة والجماعة.

قال: **(وَيُثْبِتُونَ لَهُ وَجْهًا وَسَمْعًا وَبَصَرًا)**، الوجه تقدم الكلام عليه، والسمع والبصر قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، فربنا سبحانه سميع له سمع، وبصير له بصر، **والسمع المثبت لربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نوعان:**

الأول: سمع عام يشمل جميع المسموعات، فسمعه سبحانه شامل يسمع كل صوت، وكل حرف، بكل لغة، فالحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، فالذي لا يختلط عليه كلام بكلام، ولا

تغيب عنه لغة، ولو اجتمع الناس جميعًا في صعيد واحد في وقت واحد يدعونه سبحانه كل بلسانه لسمع الله عَزَّ وَجَلَّ كل حرف لكل سائل، وعلم وسمع حاجة كل سائل، لا يختلط عليه سائل سائل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والنوع الثاني: سمع خاص، وهو أيضًا قسمان، سمعًا خاصًا ليس عامًا، **وهو قسمان:**

الأول: سمع الإجابة والقبول، فعندما نقول في الصلاة: سمع الله لمن حمده، ليس المقصود هنا الخبر عن السمع العام، وإنما المقصود هنا ذكر سمع الإجابة والقبول، فسمع معناه: سمع فأجاب، والعلماء يقولون: هذا السمع إن أثبت تضمن إثبات الإجابة، وإن نفي فهو نفي للإجابة دون السمع، عندما تقول: سمع الله دعاؤك على سبيل الإثبات، هذا مثلًا لو قلت مثلًا: لو أن إنسانًا محرومًا من الولد، فقال: اللّهم أرزقني ولدًا، وألح على الله في الدعاء، وإذا بامرأته حامل، نقول له: سمع الله دعاؤك، سمعه وأجابه، وإذا لم يحصل المقصود، إنسان يدعو الله دعا الله أن يرزقه ولدًا، دعا وهو يصلي، دعا وما حصل، فيقول له صاحبه: ما سمع الله دعاؤك لحكمة، هذا نفي للإجابة وليس نفيًا للسمع، لأن الله سمع لكنه لم يسمع سمع إجابة.

إذًا هذا السمع الخاص القسم الأول منه: هو سمع الإجابة، إثباته إثبات للسمع والإجابة معًا، ونفيه نفي للإجابة دون السمع.

والقسم الثاني: سمع النصر والتأييد والإعانة، كقول ربنا لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، فهذا السمع يُراد به أن الله يسمع لهما ويحفظهما ويؤيدهما ويعينهما، والبصير اسم الله تعالى، فهو البصير الذي كُمل بصره، وأحاط بكل المبصرات، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُدرك الأبصار، ويرى الخفي مهما خفي، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة السوداء في ظلمة الليل الحانكة، فسبحانه يرى دقيق عظمها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويرى الظاهر، استوى في بصره الخفي والظاهر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(وَعِلْمًا)، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليم، وعليم فعيل من العلم، أي ذو العلم المحيط الكامل الشامل الذي أحاط بكل شيء علمًا، لا يعزب عن علم ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شيء، احاط بالظواهر والبواطن، وما يظهر وما يخفى، وبالماضي والحاضر والمستقبل والكائن وغير الكائن لو كان كيف

يكون، والممكن والمحال والكثير والقليل، والصغير والكبير، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: ٢]، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١]، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا.

إني لأعجب منا وأعجب من العباد كيف لا يستحون من الله، وقد علموا أن الله يسمع كلامهم كله، والله لا تتخفى بكلامك عن الله، إني لأعجب منا ومن حمقنا كيف أن الواحد منا يتستر عن الناس ليكتم كلامًا أو يقول بهاتفه قولًا ولا يستحي من الله، فالله يسمع كلامه وحروفه، إني لأعجب من حمقنا كيف أن الواحد منا يتخفى بالمعصية حتى لا يراه أحد، وهو والله لن يكون في مكان لا يراه فيه أحد، فالله يراه حيث كان، يعلم ما يفعل، ويسمع ما يقول، لا تخفي عليه خافية، والإنسان كادح إليه وملاقيه ولا بد، سبحان الله يا إخوة إذا لا تعظم الخشية لربنا في قلوبنا ونحن نعلم أنه يرانا حيث نعصيه ويُنعم علينا، ما سلب منا نعمته ونحن نعصيه، والله لو شاء لسلب عنا النفس، سلب عنا القدرة، سلب عنا القوة، لكنه سبحانه حتى مع معصيتنا له يُنعم علينا، يسمع كلامنا، ثم ما منا من أحد إلا سيقف بين يديه، ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب، يُعرض عليه ما مقدم، كيف ما نستحي من الله؟! كيف ما تعظم خشيتنا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كيف تكون خشيتنا للناس أعظم من خشيتنا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يا إخوة هذه الصفات ليست اعتقادًا فقط، أهل السنة والجماعة يعتقدونها اعتقادًا جازمًا بمعانيها الظاهرة الحقيقية على ما يليق بجمال وجلال وكمال الله عَزَّ وَجَلَّ، ويظهر أثر هذا الاعتقاد في أعمالهم، في خشيتهم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهؤلاء هم العلماء الذين أثبتت لهم الخشية، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

عرفوا وآمنوا واعتقدوا وأثر ذلك في أقوالهم، وأثر ذلك في أفعالهم، هم بشر كسائر البشر، يحبون اللذائذ، وتشق عليهم الشدائد، لكنهم تميزوا عن البشر بأنهم اعتقدوا أن ربهم سميع بصير عليم، وأنهم موافون ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأحسنوا سيرهم، لزموا الطاعات، واجتنبوا المحرمات، وأقبلوا على الله استحوا من الله أن يعصوا الله بنعم الله في نعم الله، وتذكروا أنهم سيقفون بين يدي

الله، ليس بينهم وبينه ترجمان ولا حجاب، فيا لهم كيف يعرض ربهم عليهم معصيتهم له ماذا يقولون؟! فقدموا لأنفسهم في الدنيا فسابقوا في الخيرات، وكانوا آخر الصف في طلب المحرمات، العلم أيها الإخوة إذا لم يحرك القلوب ففي طلبه خلل، فعلينا أيها الإخوة ونحن نتعلم العقيدة أن نستحضر هذه المعاني الجليلة التي تغير حياتنا، تجعلنا أسرع في الطاعة وأبطئ في المعصية، تجعلنا حريصين على أن يرانا الله في كل أمر أمر به، نحرص على أن نكون من أوائل الناس في المسجد، فتجعلون حريصين على ألا يرانا الله في كل أرم نهى عنه، نستحي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل علمنا نافعًا، وأن يجعل هذا العلم قائدًا لنا إلى جنة رب العالمين.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَى وأَعْلَمُ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ

[المجلس الثاني]

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، وعلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أما بَعْد؛

فمعاشر الإخوة نواصل شرحنا لكتاب اعتقاد أهل السنة للإمام الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائر علماء المُسْلِمِيْنَ. وقد وقفنا عند قول الإمام رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (ويثبتون أن له وجهًا وسمعًا وبصرًا وعلمًا وقدرة). وقفنا عند هٰذَا، فأهل السنة والجماعة قاطبة يثبتون لله عَزَّ وَجَلَّ القدرة التامة، فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد تقدم تقرير هٰذَا.

(وقوة) أهل السنة والجماعة يثبتون لله عَزَّ وَجَلَّ القوة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الرزاق ذو القوة المتين، فهو صاحب القوة الذي لا يلحقه ضعف، ولم يسبق قوته ضعف، ولا يعتري قوته ضعف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فربنا سُبْحَانَهُ قوي لا يغلبه غالب، ولا يرد قضائه راد، ولا يفوته شيء. وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المتين، والمتين هو شديد القوة الذي لا تنقطع قوته أبدًا، ولا تلحقه مشقة فلا يعنته شيء، فالمتين وصفٌ متعلقٌ بالقوة.

قَالَ: (وعزةً)؛ فأهل السنة والجماعة يثبتون لله العزة، فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عزيز، له العزة فلا أعز منه ولا نظير له، فله عزة القدر. وهو القاهر فوق عباده، والغالب الذي لا يغلبه شيء، فله عزة القهر. وهو سُبْحَانَهُ الذي لا يلحقه نقص ولا سوء، وهو المعز لأوليائه، شديد الانتقام من أعدائه، فلا يعز إلا الله، ولا يذل إلا الله، وإذا أيقن المؤمن من هذا كان عزيزًا؛ لأنه يوقن أن العزيز من أعزه الله، وأن الذليل من أذله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وأصل العزة الشدة والقوة والغلبة والامتناع، ولذلك أهل العلم يقولون: (لله عزة القدر، وله عزة القهر، وله عزة الامتناع) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(وكلامًا) الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متكلم، ويتكلم متىٰ شاء بما شاء، فكلامه قديم النوع حادث الآحاد، كلم موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وكلم محمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلام الله يُسمَع. قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾ [التوبة: ٦]، والكلام الذي يُسمع ليس هو الذي في النفس،

وإنما كلامٌ له صوت وله حرف، والله تكلم بالقرآن حقيقة، وسيأتي إِنْ شَاءَ اللهُ الكلام عن القرآن وأنه كلام الله.

قَالَ: (لا علىٰ ما يقوله أهل الزيغ من المعتزلة وغيرهم) يعني كالذين يقولون: حكاية عن كلام الله؛ ليس كلام الله وإنما حكاية عن كلام الله. أو يقولون: عبارة عن كلام الله؛ فإنهم زاغوا عما دلت عليه النصوص، وأجمع عليه أهل السنة وَالْجَمَاعَة.

قَالَ: (ولكن كما قال تعالىٰ: {وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ} [الرحمن: ٢٧] وقال: {أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ} [النساء: ١٦٦]) هنا العلم، في الأولىٰ الوجه -كَمَا تَقَدَّمَ-، وفي الثانية العلم.

قَالَ: (وقال: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} [البقرة: ٢٥٥]) هنا إحاطة علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يحاط بعلمه.

(وقال: {فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر: ١٠]) هذه العزة. (وقال: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} [الذاريات: ٤٧]) ما هذا يا إخوة؟ هذه القوة، (بأيد) يعني بقوة، فالإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ أورد هذه الآية للتدليل علىٰ القوة، فمعنىٰ (خلقناها بأيدٍ) خلقناها بقوة، فـ (أيدٍ) هنا ليست جمعًا لـ (يد)، وإنما الأيد في لغة العرب القوة، يقال: رجل أيدٌ؛ أي رجل قوي. قال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ: (وزعم بعض الجهلة أن معنىٰ (خلق الله آدم بيديه) أي بقوته، وهو جهل بلغة العرب، والقوة إنما تسمىٰ الأيد، وفرق بين اليد والأيد). ثم قال كلامًا، فَقَالَ: (فمن لا يفرق بين الأيد والأيدي) فمن لم يفرق بين الأيدِ بكسر الدال، والأيدي بالياء (فهو إلىٰ التعليم والتسليم إلىٰ الكتاتيب أحوج التسليم إلىٰ الكتاتيب معلوم أن الذي يدرس في الكتاتيب هم الأطفال الذين لا يعرفون شيئًا، فيقول هذا لا يستحق أن يتكلم في العلم، هذا ينبغي أن يُعاد تعليمه من اَلْأَوَّلُ، من الأصل، بأن يُسلم إلىٰ الكتاتيب.

(وقال: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً} [فصلت: ١٥] وقال: {إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: ٥٨]). (فهو تعالىٰ ذو العلم، والقوة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام) فأهل السنة والجماعة يثبتون الأسماء وما تتضمنه من الصفات، ويصفون الله عَزَّ وَجَلَّ بهذا، بخلاف غيرهم مثلًا الذين يقولون: عليم بلا علم. ثم متأخروهم أرادوا أن يتحذلقوا

ليتخلصوا من قبح كلام متقدميهم فقالوا: عليم لا يجهل؛ فلم يثبتوا العلم لكن نفوا الجهل. الأولون نفوا العلم، قالوا: عليم بلا علم؛ هذا الكلام قبيح جدًّا. فالمتأخرون منهم أرادوا أن يتخلصوا من قبح كلام متقدميهم، ففروا بشيء لا ينفعهم شيئًا، فقالوا: عليم لا يجهل؛ فلم يثبتوا له العلم وإنما نفوا الجهل.

(كما قال تعالىٰ: {وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي} [طه: ٣٩] {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا} [هود: ٣٧]) عقيدة أهل السنة والجماعة التي يتفقون عليها وأجمع عليها سلف الأمة أن لربنا سُبْحَانَهُ عينين كما يليق بجلال وكمال وجمال ربنا، لا تُكيفان ولا تُشبهان لهذه الآيات التي ذكرها الشيخ الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ. فيقل قائل: في الآية الأولىٰ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، وَهَذَا مُفْرَد؛ نقول إن المفرد يطلق ويُراد به الاثنان، المطلق أو المفرد المضاف لا يدل علىٰ الوحدة: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ﴾ [النحل: ١٨]، النكرة إذا أضيفت تكتسب التعريف والتعميم، فتصبح معرفة ودالة علىٰ العموم. وفي استعمال الناس قد يقول أحد لآخر: أعطني كذا؛ فيقول: من عيني؛ هل المراد من عين واحدة؟! هكذا في الاستعمال؛ المفرد يطلق ويراد به الاثنان، فيقول قائل: في الآية الثانية جمع، وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧] فلماذا لا نقول إن لله عيونًا؟ لماذا يقول السلف وقد أجمعوا علىٰ هذا ونحن علىٰ هذه العقيدة أن لله عينين؟ نقول لأن الجمع يطلق ويراد به الاثنان، كما في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، لو لم يكن الجمع يدل علىٰ الاثنين لكان هذا تناقضًا، (قلوب) جمع، (قلوبكما) تثنية، لكان الجمع بين الجمع والتثنية تناقضًا، وهذا لا يكون في كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وقد قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ لا يَخفَىٰ عليْكُم، إنَّ اللهَ ليس بأعوَرَ - وأشارَ بيَدِهِ إلىٰ عَيْنِهِ - وإنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أعوَرُ العَيْنِ اليُمْنَىٰ» رواه البُخَارِيّ، فدل هذا علىٰ أن لله عَزَّ وَجَلَّ عينين. ونعلم يا إخوة -هذه قضية مهمة جدًّا- أن إجماع السلف حجة، يعني إذا جاءك إجماع السلف إن عرفت الدليل فهذا نور علىٰ نور، وإن لم تعرف الدليل فإجماع السلف حجة، والخلاف الحادث بعد إجماعهم بدعة؛ هذه القاعدة، إجماع السلف حجة. ولذلك بعض إخواننا يخطئ ويقول أنا أبحث عن الدليل، وإذا لم أجد دليلًا فإني أسكت؛ ما أجمع عليه السلف دليله

فيه، وهو إجماع السلف، يعني يأتينا إِنْ شَاءَ اللهُ في الميزان أن له لسانًا، أجمع السلف علىٰ أن للميزان لسانًا. بعض طلاب العلم يأتي ويقول أنا بحث وما وجدت دليلًا، أنت ما عرفت الأدلة، لو عرفت الأدلة لأدركت أن إجماع السلف دليل، إجماع السلف من أقوىٰ الأدلة؛ لأن الإجماع يتضمن الدليل، وأغنانا الإجماع عن البحث عن الدليل؛ لأنه ما دام أنه أجمع علىٰ دلالته فهو دليل قطعي وقطعي الدلالة، ما يحتاج أن نبحث عنه، لكن إن وجدنا الدليل فذاك خير، وهذه قضية يا إخوة مهمة جدًّا في التعامل مع كلام السلف؛ إجماع السلف حجة واجبة الاتباع، والخلاف بعد إجماعهم بدعة واجبة الاجتناب.

(وقال: {وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤])هذا في كلام الله، (وقال: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢]) هذه في الكلام. قَالَ: (ويقولون ما يقوله المسلمون بأسرهم: (ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون) ، كما قال تعالىٰ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ} [الإنسان: ٣٠]) وهذا الكلام من الإيمان بالقدر، وهذه مرتبة من مراتب القدر، فمشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ نافذة، ولا يكون شيء في كون الله عَزَّ وَجَلَّ إلا بمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما شاء كان ونفذ، والعباد تحت مشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ، ولهم مشيئة لا تخرج عن مشيئة الله، وهذه المشيئة يرادفها أو ترادفها الإرادة الكونية القدرية التي لا يخرج عنها شيء، فيدخل فيها ما يحبه الله ويدخل فيها ما يبغضه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وحتىٰ يسير المسلم في باب القضاء والقدر سيرًا حسنًا ينبغي عليه أن يسير علىٰ أصول عظيمة قررها أهل السنة وَالْجَمَاعَة، من فهمها ارتاح في مسألة القدر، وارتاح بالقدر، وارتاحت عيشته، واطمئن قلبه.

الأصل اَلْأَوَّلُ: أن القدر سر الله، أطلع الله عَزَّ وَجَلَّ منه عباده علىٰ ما يصلحهم وأخفىٰ عنهم ما تقتضي الحكمة إخفاءه، فما دام ذلك كذلك فينبغي للعبد أن يقتصر فيه علىٰ ما ورد في النصوص بفهم السلف الصالح ثم يمسك عما زاد، ولذلك قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا ذُكر القدَرُ فأَمسِكوا» أي إذا خاض الناس في القدر بغير نور الكتاب وَالسُّنَّة، إذا خاض الناس في القدر بغير نور الكتاب والسنة فأمسكوا ولا تخوضوا معهم فيما يخوضون. هذا الحديث رواه الحافظ الصنعاني في الأمالي، والطبراني في الكبير، وذكر في السلسلة الصحيحة الإمام الألباني أن

أسانيده يشد بعضها بعضًا. هناك مسائل يحدثها الناس لم يتكلم فيها السلف، ولا ينبغي أن يُخاض فيها، مثل المسألة التي أشغلوا بها الناس هل الإنسان مسيّر أو الإنسان مخيّر، من آمن بالقضاء والقدر علىٰ نور الكتاب والسنة أدرك حقيقة هذه المسألة من غير خوض، فيها ومن غير هذه الحيرة التي وقع فيها الناس الذين لم يستنيروا بنور الكتاب وَالسُّنَّة.

الأصل الثَّانِي: الذي يجب اصطحابه في باب القضاء والقدر هو أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عدل لا يظلم الناس شيئًا، ومن ذلك أنه لا يظلم الناس في قدره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فوالله ثم والله لو أن الله عَزَّ وَجَلَّ ابتلىٰ الناس جميعًا ما كان ظالمًا لهم مقدار ذرة، ولو أن الله سُبْحَانَهُ عذب أهل السماوات والأرض ما كان ظالمًا لهم مثقال ذرة. الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عدل، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤]. إذًا عندما تنظر إلىٰ القدر فاصطحب هذه العقيدة الراسخة، أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عدل، فهذا يدفع عنك الشبهات في هذا الباب العظيم.

الأصل الثَّالِث: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حكيم له الحكمة التامة، له الحكمة البالغة في شرعه، والحكمة التامة في قدره، فما من أمرٍ قدري إلا وفيه حكمة تامة، وما من أمر شرعي إلا وفيه حكمة بالغة، لا يفعل ربنا شيئًا عبثًا، ولا يشرع ربنا شيئًا عبثًا، فإذا مضىٰ القدر بشيء فاعلم يقينًا بعد أن علمت أنه عدل اعلم يقينًا أن فيه الحكمة. وإذا قصر فهمك عن الحكمة فاتهم فهمك وعلمك، وإياك أن تتهم ربك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الأصل الرَّابِع: أن الله لكمال علمه وتمام عدله وكمال حكمته لا يُسأل عما يفعل كما تقدم معنا.

الأصل الخَامِس: أن يؤمن العبد أن الله علىٰ كل شيء قدير، ولذلك قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: (القدر قدرة الله).

الأصل السَّادِس: أن يوقن المؤمن أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وهذا هو الإيمان، وهذه عقيدة المؤمن في ربه، وقد وردت أدلة كثيرة علىٰ هٰذَا. والإيمان بالقدر –

كما هو معلوم- ركن من أركان الإيمان. والقدر له أربع مراتب، من عرفها عرف القدر واطمأن قلبه، واندفعت عنه الشبهات:

المرتبة الأولىٰ: العلم؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكل شيء عليم، علم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون. والله إن ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علم في الأزل أني سأرفع أصبعي، والله إنه علم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، عِلِمَ الخلق، وعلم أحوالهم، وعلم أعمالهم، وعلم من يستحق الهداية منهم، ومن يستحق الضلال منهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المرتبة الثانية: الكتابة؛ أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر القلم فكتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق المبنية علىٰ علمه، وقد جمع الله هاتين المرتبتين في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

المرتبة الثالثة: المشيئة؛ فقد شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما في السماوات والأرض، ولا يكون شيء إلا بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يكون في ملك ربنا إلا ما يريد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ومشيئته نافذة وقدرته شاملة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما من حركة في الكون إلا وهي بمشيئة الله، وما من سكون في الكون إلا وهو بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المرتبة الرابعة: الخلق؛ أي أن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق كل شيء، فالله خالق كل شيء، خلق العباد وخلق أفعالهم، والعباد فاعلون حقيقة كما سيأتي هنا إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

هذه المراتب الأربع من أدركها آمن بالقدر حقًا، ولم يقع في نفسه شيء من الحيرة أبدًا، مع العمل بالأصول التي ذكرناها، ففيها الإيمان وفيها الأمان، فيها الإيمان وصحة الإيمان بالقضاء والقدر، وفيها الأمان من الزلل، فيها الأمان من الزلل.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (ويقولون لا سبيل لأحد أن يخرج عن علم الله ولا أن يغلب فعله وإرادته مشيئة الله ولا أن يبدل علم الله، فإنه العالم لا يجهل ولا يسهو، والقادر لا يُغلَب) تقدم ما يتعلق بهذا عند الكلام عن علم الله ومشيئة الله، لكن أُنبه إلىٰ جملة، وهي أن المُعتزلة يقولون إن الله عالمٌ لا يجهل، فلا يثبتون العلم وينفون الجهل، وليس هذا مراد الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ هنا، وإنما مراده

أن كل شيء إنما يقع بعلم الله ومشيئته، وإلا لانقلب العلم جهلًا، والمشيئة عجزًا، وهما محالان، تَعَالَىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

قَالَ: (ويقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق) القرآن كلام الله، فهو صفة من صفات الله، ولذلك يا إخوة لو سألكم سائل وقال: هل يجوز أن أقول: والقرآن إنه كذا...؟ هل يجوز أن أحلف بالقرآن وأقول والقرآن إنه كذا؟ ما الجواب؟ يجوز؛ لأن القرآن كلام الله، فأنت تحلف بصفة من صفات الله. طيب لو قال لك: هل يجوز أن أقول والمصحف إنه كذا؟ الجواب لا يجوز، وسيأتي الكلام بعد قليل. طيب لو قال قائل: هل يجوز أن أقول ورب القُرْآن؟ لا ما يجوز؛ لأن القرآن صفة الله. لكن هل يجوز أن أقول: ورب المصحف؟ يجوز. فالقرآن صفة الله عَزَّ وَجَلَّ وكلام الله أعم من القُرْآن، لكن القرآن كلام الله، فالقرآن من كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وصفات الله غير مخلوقة، فالقرآن غير مخلوق كما أجمع عليه السلف. وقال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فجعل الخلق شيئًا والأمر شيئًا آخر، وإذا نظرنا إلىٰ القرآن وجدناه في قول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢]، فالقرآن من أمر الله، والأمر غير الخلق، إذن القرآن غير مخلوق، وَهذا ما عليه الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم أجمعون، وعليه السادة التابعون، وأئمة المسلمين كالأئمة الأربعة، وقد نص أئمة الإسلام علىٰ حرمة القول بخلق القُرْآن، حيث جاء ذلك نصًا عن ٥٥٠ عالم من علماء الإسلام، قالوا أنه من قال بخلق القرآن فهو كافر، ذكر أكثرها الذهبي في سير أعلام النبلاء، فالسلف مطبقون علىٰ حرمة القول بخلق القُرْآن، وأنه من الكفر بالله عَزَّ وَجَلَّ. وقول أئمة المسلمين القرآن كلام الله غير مخلوق فيه أن القرآن كلام الله لا كلام غيره، لا كلام جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا كلام الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن غير الله مخلوق، وكلام الله غير مخلوق.

قَالَ: (وإنما كيفما يصرف بقراءة القارئ له، وبلفظه، ومحفوظا في الصدور، متلوًا بالألسن، مكتوبًا في المصاحف، غير مخلوق) قال السلف عبارة جميلة قصيرة مفيدة نافعة، قالوا: (الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري) فالسلف متفقون علىٰ ما اتفق عليه العقلاء من أن الكلام كلام من قاله ابتداءً لا كلام من بَلَّغَه ولا كلام من قرأه. الآن يا إخوة أنا أقرأ لكم اعتقاد أهل السنة

والجماعة للإسماعيلي، هل يفهم عاقل منكم أن هذا كلامي أنا؟ قطعًا لا، أنا أقرأه وأنتم تسمعونه مني ولكنكم تعتقدون جميعًا أنه كلام الإسماعيلي، ولا يوجد عاقل يقول قال لنا الشيخ سليمان اليوم ويذكر نص كلام الإسماعيلي، فهذا يتفق عليه العقلاء قاطبة من المسلمين وغير المُسْلِمِيْنَ، أن الكلام كلام قائله لا كلام مبلغه ولا كلام قارئه، وإن كان قد يطلق فيقال إنه قول فلان باعتبار أنه بلغه كما في قول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ [الحاقة: ٤٠]، ليس المقصود أنه كلام النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن المقصود أنه بلغه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فالقرآن كلام الله، عندما يتلوه التالون فهو كلام الله، وعندما يُحفظ في الصدور فهو كلام الله، وعندما يُكتب في السطور فهو كلام الله، وعندما يُسمع فهو كلام الله؛ هذا الذي أجمع عليه السلف ودل عليه القرآن وَالسُّنَّة.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: (ومن قال بخلق اللفظ بالقرآن يريد به القرآن، فهو قد قال بخلق القرآن) يا إخوة لما كان قول القائل: اللفظ بالقرآن مخلوق؛ أو قول القائل: لفظي بالقرآن مخلوق؛ محتملًا لمعنيين أحدهما باطل والآخر صحيح، ولما كان ذلك كذلك فإن السلف ينهون عن الإطلاق ويفصلون، فيقولون إن أراد: ملفوظي؛ أي ما تلفظت به فهذا هو القول بخلق القُرْآن، وهذا قاله بعض القائلين بخلق القُرْآن، وهي حذلقة، فقال بعضهم: القرآن غير مخلوق واللفظ مخلوق؛ ويريدون باللفظ الملفوظ؛ هذا قائل بخلق القُرْآن، كما قاله الإسماعيلي نقلًا عن أهل السنة وَالْجَمَاعَة. وإن أراد صوته، وأراد أن صوته مخلوق؛ فهذا صحيح، ولما كان محتملًا فإن علماء أهل السنة والجماعة يرون اجتناب هذا الكلام المحتمل في مثل هذه المسألة العظيمة، وأن يُعبر بالكلام الواضح البيّن، ومثل هذا الكلام ليس من كلام السلف، مسألة اللفظ ليست من كلام السلف؛ لأن الأمر كان عندهم واضح جدًّا، ولم يقل أحد من السلف إن أصوات العباد بالقرآن قديمة أو ليست مخلوقه، بل كان الإمام أحمد يضلل ويبدع من يقول هٰذَا.

وقول المصنف رَحِمَهُ اللهُ: (مكتوبًا في المصاحف غير مخلوق) رد علىٰ القائلين بأن الذي في المصحف مداد وورق وأما الكلام فهو عبارة عن كلام الله أو حكاية عن كلام الله؛ فهذا يخالف الحقيقة ويخالف إجماع السلف، وهو بدعة محدثة. كلام السلف محكم ومتقن، ولا تجد فيه هذه الاحتمالات الواردة علىٰ ما أحدثه المتأخرون؛ لأن كلام السلف مبني علىٰ الكتاب وَالسُّنَّة،

ولذلك يا إخوة والله إن أكثر مشاكلنا -حتىٰ بعض الخلاف الذي يقع بين السلفيين- بسبب استخدام عبارات لم يستخدمها السلف في مسائل تكلم عنها السلف. يا أخي قل ما قاله السلف واسكت، هذه التعبيرات الجديدة المحتملة تجعل كل واحد يفهم شيئًا ثم نختلف، ثم نتراشق، ثم نتباعد، ثم تضعف الدعوة السلفية، ثم بدل من أن نعلم الناس التوحيد والسنة ننشغل بأنفسنا في عبارات ما كنا نحتاج إليها في مسائل الإيمان، نقول ما قاله السلف كما سيأتي، الإيمان قول واعتقاد وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ ونجتنب مسائل شرط كمال وشرط صحة؛ هذه ما كانت في لسان السلف، ولما خضنا فيها تسبب ذلك في خلاف كثير؛ لأن الألفاظ يدخلها الاحتمال، وأبعدتنا عن الفهم الصحيح لكلام السلف أحيانًا.

هكذا أيضًا في طاعة ولي الأمر، قل: نسمع ونطيع لولي الأمر في غير معصية الله، بارًا كان أو فاجرًا؛ ما يحتاج تأتي تقول: ولو زنا ولو سرق.. لماذا! ما كان السلف يقولون هذا ولا ورد في النصوص، بل هذا الكلام يقبح كلامك عند العامة، عندما تأتي للعامي وتقول: اسمع وأطع لولي أمرك وإن زنا؛ وقعه قبيح ولو كان صحيحًا. لكن لو لزمنا عبارات السلف: نسمع ونطيع لولي أمرنا في غير معصية الله؛ ما أجملها! في غير معصية الله هذه تريح القلب ولا تدخلك في عبارات ينفر منها الناس، وأيضًا قد تفهم علىٰ وجه الخطأ.

الشاهد يا إخوة -والله نصيحتي- نلزم منهج السلف فعلًا ولفظًا، نلزم كلام السلف، نتجنب كثيرًا من الكلام الذي أحدثه المتأخرون وفيه حق إن فُسر بمعنىٰ وفيه باطل إن فُسر بمعنىٰ.

قَالَ: (ويقولون إنه لا خالق علىٰ الحقيقة إلا الله عز وجل، وأن أكساب العباد كلها مخلوقة لله) نعم ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق العباد وأفعالهم، كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾ [فاطر: ٣]، الذين يقولون إن العباد يخلقون أفعالهم أثبتوا خالقًا غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وقد أفاض أهل السنة والجماعة في ذِكر الأدلة علىٰ ذلك، حتىٰ أبلغها بعضهم ألف وجه من الكتاب وَالسُّنَّة، ومع ذلك فأفعال العباد كسب لهم، بصالحها يُمدحون وبسيئها يُذمون، إذ هم لها فاعلون حقيقةً، وتُسند إليهم عند جميع العقلاء، أخونا استأذن؛ كل واحد يقول

استأذن فلان، ويُسند إليه فعله. عند العقلاء؛ من عمل خيرًا مُدح به ومن عمل شرًا ذُم به. أنت في نفسك لو أن واحدًا فعل شيئًا ينفعك أنت لقلت له جزاك الله خيرًا، وفعلك هذا لن أنساه، ولو أنه فعل شيئًا يضرك لقلت له أنت فعلت ما يضرني، أنت أضررت بي؛ وهذا يتفق عليه العقلاء.

فكلكم مثلًا يقول: قرأ سليمان؛ كلكم تقولون هٰذَا، ولا يوجد واحد منكم يقول له لا! كيف قرأ سليمان؟! ليس سليمان الذي قرأ، لو عطس أحدنا نقول عطس فلان، لو نام واحد أثناء الدرس نقول نام فلان.

بالمناسبة مرة كنت أُدرِّس الدكتوراة وكان أكثر الطلاب قضاة، فأنا وأنا أشرح أحدهم -وهو أكبرهم سنًا فوق الخمسين، وأكبرهم منزلة، إذا بعيني تقع عليه وهو يربط عمامة الذي أمامه في الكرسي، فنظرت إليه مبتسمًا، فنظر إلي وقال والله يا شيخ السر في الكرسي، في الصباح نحن قضاة وإذا جلسنا علىٰ هذه الكراسي ما أدري ماذا يحدث بنا، نصبح طلابًا.

إذن هذا واقع الحال، والله سُبْحَانَهُ وصف العباد بأنهم يعملون، ورتب علىٰ ذلك الثواب والعقاب، قال سُبْحَانَهُ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فجعل عملها الصالح كسبًا لها، وجعل عملها السيء اكتسابًا عليها، فالله خلق أعمال العباد وهي واقعة من العباد، والعباد لهم قدرة علىٰ أعمالهم وقوة عليها، لكنها تحت مشيئة الله الكونية والقدرية، فالعباد لهم قوة، قال تَعَالَىٰ: فينظروا ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الروم: ٩]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]، وللعباد استطاعة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦. وللعباد مشيئة تحت مشيئة ربهم، قال تَعَالَىٰ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، والعبد يجد من نفسه يقينًا أنه إن أراد النظر فتح عينيه.

يا أخوة لو أن واحدًا منا أراد النظر وما انفتحت عينه ماذا يظن؟ يظن أنه أصيب بالعمىٰ، يدرك يقينًا أنه إن أراد النظر فتح عينيه، وإن أراد عدم النظر أغمض عينيه، هل مرة يا إخوة أردت أن

تغمض عينك فأغلقت واحدة وبقيت الثانية مفتوحة؟ لا يحصل، بإرادة العبد التي خلقها الله وجعلها في عبده يفعل ويترك، وكل عاقل يجد هذا من نفسه، لا يحتاج إلىٰ كثرة تقرير للأدلة، كل واحد منا يعلم أنه إن أراد أن يأتي إلىٰ القاعة أتىٰ وإن لم يرد جلس في الغرفة، ما في شيء يجذبك مثل المغناطيس وفجأة تجد نفسك في القاعة، تريد وتقوم وتسير وتصل؛ ولو ما أردت نمت علىٰ السرير، وإن خفت من المراقب نمت تحت السرير. أنا كنت عميد شؤون الطلاب في الجامعة فترة، وأعرف ما يفعله الطلاب في السكن، بعضهم كان في صلاة الفجر يكسل أن يذهب إلىٰ المسجد ويصلي في الغرفة، وإذا سمع بحركة المشرفين يدخل في الدولاب.

إذًا هذا الدليل الوجودي الواقعي بيّنٌ جدًا، وهناك أمور ليست تحت إرادة العبد، لا تتعلق بفعله الاختياري مثل مثلًا الإنسان إذا نام أغمض عينه، هو ما يستطيع أن يفتح عينيه وهو نائم، ما يستطيع، العينان تُغمضان وقت النوم، حركة العين هذه التي تُحمىٰ بها العين، هذه ليس للإنسان فيها إرادة، يعني هي تتحرك، يعني لم تتعلق بها إرادة الإنسان، الإنسان يدرك أنه إن أراد الصلاة صلىٰ، وإن أراد ترك الصلاة ترك الصلاة، ومشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ شاملة، كما سمعنا، قال ربنا: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]. فالعباد عندهم قدرة، وعندهم إرادة، فإذا وُجدت عندهم القدرة التامة والإرادة الجازمة من العبد وانتفت الموانع فعلوا أو تركوا إلا أن يشاء الله شيئًا. وهذه القدرة والإرادة من العبد قد خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو سُبْحَانَهُ المعطي والسالب، يعطي بحكمة ويسلب بحكمة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ألا ترىٰ أن الإنسان قد يمشي فترة من عمره إذا أراد أن يقوم قام، إذا أراد أن يمشي مشىٰ، الله هو الذي خلق له هٰذَا، والله هو الذي أعطاه هٰذَا، فهي هبة من الله. ثم قد يصاب بحادث فيصاب بشلل، ما يستطيع أن يمشي، الذي سلب هذا منه هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. إذًا نؤمن أن للعبد قوة وإرادة وقدرة، وهذه قد خلقها الله ووهبها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأهل السنة في هذا الباب العظيم وسط بين طرفين منحرفين: أحدهما قال ليس للعبد إرادة مطلقة، والآخر قال إن مشيئة العبد تغلب مشيئة الله. وما سلم إلا أهل السنة وَالْجَمَاعَة.

ولذلك قَالَ: (وأن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء) سُبْحَانَ اللهِ! الله يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، علم أزلًا من يستحق الضلال، فأضله بعدله، وهدىٰ من شاء بفضله، والله لولا الله ما اهتدينا، نحن مثلًا في هذا البلد نعيش في وسط أناس كثير، منهم من لم يعرف الله، ومنهم من انحرف إلىٰ فرق مخالفة للحق، ما ميزتنا؟ الله أنعم علينا وهدانا إلىٰ الإسلام، وهدانا في الإسلام إلىٰ السنة والتوحيد ومنهج السلف، والله لولا الله ما اهتدينا، والله لولا الله ما صمنا، والله لولا الله ما صلينا؛ فلا يخرج أحد عن مشيئة الله، لكن الله يهدي من يشاء بفضله ويضل من يشاء بعدله.

ولذلك قال الشيخ: (لا حجة لمن أضله الله عَزَّ وَجَلَّ ولا عذر) ليس لأحد أن يحتج علىٰ ضلاله بأن الله قد أضله، ولا عذر له في هٰذَا، فإنه -كَمَا تَقَدَّمَ- في عقيدة أهل السنة والجماعة المحكمة أن الله خلق العباد وأفعالهم، ولا يخرج شيء عن مشيئته إلا أن العباد لهم إرادة واختيار، ولذلك قلت مرارًا وتكرارًا من احتج علىٰ الذنوب بالقدر فاصفعه علىٰ وجهه، فإذا لامك فقل: لا تلمني، قد قدر الله علي أن أصفعك، وهو لن يرضىٰ بهذا ولن يسلم، ولذلك أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يقولون القدر يُحتج به في المصائب ولا يحتج به في المعايب، في البلاء أو المصيبة التي تنزل علىٰ الإنسان يحتج بالقدر، يقول: قدر الله علي كذا؛ أما في المعايب فلا يحتج الإنسان بالقدر، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، (وقال: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ - فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} [الأعراف: ٢٩ - ٣٠]). (وقال: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} [الأعراف: ١٧٩] وقال: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} [الحديد: ٢٢])، قَالَ: (ومعنىٰ "نبرأها" أي نخلقها وبلا خلاف في اللغة، وقال مخبرًا عن أهل الجنة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف: ٤٣]) أي أن الله تفضل علينا فهدانا هداية التوفيق، الله قد هدىٰ العباد هداية الدلالة والبيان، وهداية التوفيق والإذعان لمن شاء له الهداية. هداية الدلالة والبيان لكل العباد، كل العباد قد هداهم الله هداية الدلالة والبيان، بكتابه وسنة رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يبقىٰ لأحد حجة. وهدىٰ من شاء هدايته بهداية التوفيق فضلًا منه وإحسانًا وإعانةً

منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، (وقال: {أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَىٰ النَّاسَ جَمِيعًا} [الرعد: ٣١] وقال: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ - إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} [هود: ١١٨ - ١١٩]).

قَالَ: (ويقولون إن الخير والشر والحلو والمر، بقضاء من الله عز وجل، أمضاه وقدره، لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله) من الإيمان أن تؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، من الله تَعَالَىٰ. وأهل السنة والجماعة مطبقون علىٰ هٰذَا، ففي حديث جبريل المشهور في قوله: «فأَخْبِرْنِي عَنِ الإيمانِ» قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنْ تُؤْمِنَ باللهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ»، فقال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: «صَدَقْتَ»، وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يُؤمِنُ عَبدٌ حتىٰ يُؤمِنَ بالقدَرِ خيرِه وشرِّه»، وقد جاءت في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ زيادة: (حلوه ومره)، وهذه الزيادة عند ابن حبان، إِلَّا أن فيها ضعفًا، لكنها واردة علىٰ لسان السلف ومعناها صحيح، فالخير ما يلائم الإنسان وينفعه ويصلحه، والشر ما يضر الإنسان ويفسده، والحلو هو المحبوب، والمر هو المكروه؛ كله بقضاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ ما تقدم بيانه في مراتب القدر.

وانتبهوا يا إخوة! تقدير الله لا ينقسم إلىٰ خير وشر، بل هو خير كله، تقدير الله خير كله، إذ فيه الحكمة التامة، فليس في تقدير الله شر، وإنما الشر في المقدور، ليس في أفعال الله شر، وإنما الشر في المفعولات، فالشر ليس إلىٰ الله كما قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله قدر الشر والخير، وليس في تقديره شر، وإنما هو شر من جهة فعل الإنسان، فتقدير المعاصي خير، والمعاصي في نفسها شر، تقدير الله للمعاصي خير لأنه عن حكمة تامة، والمعاصي نفسها شر، وتقدير المصائب خير، والمصائب نفسها شر؛ فإذا عرفت هذا تنحل لك المسألة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. (ظهر الفساد في البر والبحر) تقديرًا من الله، (بما كسبت أيدي الناس) بسبب ما اكتسبته أيدي الناس، ما الحكمة؟ ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون. يا إخوة كم من شخص هارب عن باب الله ردته المصائب إلىٰ باب الله! كم من شخص ما كان يصلي مات ولده فأصبح من الذين يلازمون المسجد! فتقدير الله خير وإن كانت المصيبة ذاتها شرًّا. ولذلك يا إخوة المصيبة لا تُطلب لكونها

شرًّا، لكنها إذا وقعت رجىٰ العبد فيها الخير، رجىٰ أن تكفر ذنبه، رجىٰ أن تعيده إلىٰ ربه، رجىٰ أن ترفع بها منزلته في الجَنَّة.

وأضرب مثالًا قريبًا؛ مثلًا موت الطفل الصغير؛ موت الطفل الصغير مصيبة، وفيه خير إن وقع، فإن الصغير يشفع لوالديه حتىٰ يأخذ بأيديهما حتىٰ يدخل الجَنَّة، ثم هو قد ارتاح من الدنيا ومن مصائبها، وإن كان لمسلمين فهو في الجَنَّة، انظروا إذا نظرت إليه بهذا النظر كم فيه من خير! لكنه خير لا يُطلب، ما يشرع للإنسان يقول اللهم ارزقني طفلًا وأَمِتهُ؛ ما يشرع! لكنه إذا وقع فتقدير الله خير، وإن كانت المصيبة حارة، وإن كانت المصيبة شرًا، فتقدير الله فيه حكمة، وفيه منحة، وفيه نعمة، ولهذا تقدير الله كله خير.

قَالَ: (وإنهم فقراء إلىٰ الله عز وجل، لا غنىٰ لهم عنه في كل وقت) لا شك أن العباد فقراء لله فقرًا دائمًا، وأن الله غني عن العباد غنًى مُطْلَقًا، والله يا عبد الله إنك فقيرٌ إلىٰ الله في كل ثانية، هذا النفس الذي تتنفسه وتقوم به حياتك إنما هو من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لو وقف قليلًا مت، فأنت فقيرٌ إلىٰ الله دائمًا، والله غني عنك وعن كل الخلق غنًى مطلقًا، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَىٰ اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، فغنىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن عباده غنىٰ مطلق، لا ينفعه منهم شيء وإن اجتمعوا عليه، ولا يضره منهم شيء ولو اجتمعوا عليه، والعباد كلهم فقراء إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(وأنه عز وجل ينزل إلىٰ السماء الدنيا) أي الدنيا (علىٰ ما صح به الخبر عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بلا اعتقاد كيف فيه) أهل السنة والجماعة متفقون علىٰ اعتقاد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينزل إلىٰ السماء الدنيا في كل ليلة، يعتقدون ذلك بقلوبهم، ويقولونه بألسنتهم، ويحرصون علىٰ الدعاء في الثلث الأخير من الليل رجاء أن يجيب الله دعاءهم، وهم علىٰ يقين من ذلك، لا يشبهون الله بخلقه، ولا يسألون عن ذلك بـ (كيف) استغرابًا ولا استفهامًا، أبدًا، لا يخطر ببال أحدهم أن يقول كيف ينزل ربي؟ ولا أن يذكر مسائل في ظنه تمنع ذلك، فما دام أنه صح الخبر عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنهم يعتقدون اعتقادًا جازمًا بما صح به الخبر عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وتَعالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا،

حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فيقولُ: مَن يَدْعُونِي فأسْتَجِيبَ له، مَن يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له»، وآخر الحديث يا إخوة يقطع كل تأويل، فلا يقول هذا إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يمكن أن يقال إن الذي ينزل ملك، كيف يقول الملك: (من يدعوني)، لا يمكن أن يقال أن الذي ينزل أمر الله، وأمر الله ينزل في كل وقت، وإنما ينزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، نؤمن بهذا ونعتقد هٰذَا، ولا نسأل عما لم يخبرنا به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن الله أكبر من أن نحيط به علمًا، لا نعلم إلا ما أخبرنا به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونحن نعلم أن ربنا علىٰ كل شيء قدير، لا يُشبَّه بأحدٍ من خلقه أبدًا، ولا يقاس بخلقه، كل من يرىٰ امتناع ذلك قاس الله علىٰ المخلوقين؛ تَعَالَىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

قَالَ: (ويعتقدون جواز الرؤية من العباد المتقين لله عَزَّ وَجَلَّ في القيامة دون الدنيا) نعم! عقيدة أهل السنة والجماعة أن رؤية الله بالأبصار في الدنيا غير واقعة، ولو كانت تنبغي لأحد لكانت لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حين سألها، ولمحمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أُسري به، والعلماء يقولون لا يُرَىٰ الباقي بالفاني، الله سُبْحَانَهُ الباقي والعين في الدنيا فانية، فلا يُرَىٰ الباقي بالفاني، فالعيون في الدنيا فانية، فليست مؤهلة لرؤية الله تَعَالَىٰ، وليس عندها القوة علىٰ أن ترىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ هذا من وجه.

كما أن الدنيا ليس الدار نعيم، ورؤية الله أنعم النعيم، ولذلك لا تكون في الدنيا، ولذلك قال الله لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فالدنيا دار عمل، ولذلك يا إخوة كان ألذ ما في الدنيا عبادة الله؛ لأن الدنيا دار عمل، وخير ما في العمل عبادة الله، فكان ألذ ما في الدنيا عبادة الله، النعيم في الدنيا هو عبادة الله، في عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أن تصلي لله مخلصًا، أن تصوم لله مخلصًا، أن تدعو إلىٰ الله مخلصًا، هذا النعيم، والله ليس النعيم الحقيقي ما في أيدي الملوك والأغنياء؛ هذا متاع، أما النعيم الحقيقي فهو في عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. إذًا يا إخوة الدنيا دار عمل، وألذ ما فيها هو خير العمل وهو عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والآخرة دار نعيم وجزاء، وأنعم ما فيها رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وقد اتفق أئمة المسلمين علىٰ أن أحدًا ير الله في الدنيا، ولم يختلفوا قط إلا في نبينا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني اتفق أئمة المسلمين علىٰ أن أحدًا لم ير

الله في الدنيا، وإنما اختلفوا في نبينا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد وقع الخلاف في رؤيته ربه بالبصر؛ والذي عليه جماهر العلماء وهو الصواب أنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رأىٰ الله ببصره، وقد قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نُورٌ أَنَّىٰ أراهُ»، وقد قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تعلَّموا أنَّه لن يرىٰ أحدٌ منكم ربَّه حتىٰ يموتَ»، كما عند مسلم في الصحيح. واتفق أهل السنة والجماعة علىٰ أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة، ويرونه في الجنة عيانًا بأبصارهم، رؤيةً واضحة ليس فيها اشتباه، ويقوِّي الله أبصارهم حتىٰ تقوىٰ علىٰ ذلك. قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ، لا تُضَامُونَ في رُؤْيَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. والمؤمنون يرون الله في الجَنَّة، قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قالَ: يقولُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَىٰ: تُرِيدُونَ شيئًا أزِيدُكُمْ؟ فيَقولونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنا الجَنَّةَ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟ قالَ: فَيَكْشِفُ الحِجابَ، فَما أُعْطُوا شيئًا أحَبَّ إليهِم مِنَ النَّظَرِ إلىٰ رَبِّهِمْ عزَّ وجلَّ» رواه مسلم في الصحيح.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (ووجوبها لمن جعل الله ذلك ثوابًا له في الآخرة، كما قال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ - إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٢ - ٢٣] وقال في الكفار: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥] فلو كان المؤمنون كلهم والكافرون كلهم لا يرونه، كانوا جميعا عنه محجوبين) وهل الكفار يرون ربهم يوم القيامة؟ طبعًا هذا السؤال لا يرد علىٰ رؤية الله في الجنة لأن الكفار لا يدخلون الجَنَّة، لكن هل الكفار يرون الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة؟ لأهل السنة في هذا ثلاثة أقوال:

القول الْأَوَّلُ: أن الكفار جميعًا لا يرون الله يوم القيامة فهم محجوبون عن رؤية الله، وعلىٰ هذا أكثر أهل السُّنَّة.

القول الثَّانِي: أنه يرىٰ الله من الكفار المنافقون خاصة، ثم يحتجب الله عنهم؛ يعني يقولون المنافقون يكونون مع المؤمنين فيرون الله، ثم يتميزون عن المؤمنين فيحتجب الله عنهم.

القول الثَّالِث: أن الكفار يرون الله يوم القيامة لكن رؤية تحسير وتعذيب.

وكما قلنا أكثر أهل السنة والجماعة علىٰ أن الكفار لا يرون ربهم مُطْلَقًا لهذه الآية.

قَالَ: (وذلك من غير اعتقاد التجسيم في الله عَزَّ وَجَلَّ ولا التحديد له، ولكن يرونه جل وعز بأعينهم علىٰ ما يشاء هو بلا كيف) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قَالَ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أي لا تحيطه الأبصار، يراه المؤمنون بغير إحاطة، وكما تقدم إثبات الصفات لا يقتضي التجسيم، ولا يقتضي التشبيه، ولا يقتضي التمثيل.

قَالَ: (ويقولون إن الإيمان قول وعمل ومعرفة) هذه عقيدة أهل السنة وَالْجَمَاعَة، أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان، وإن اختلفت ألفاظهم فهي تعبر عن معنىٰ واحد، فهو اختلاف في التعبير والمعنىٰ واحد. قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة علىٰ أن الأعمال من الإيمان) إلىٰ أن قَالَ: (وقالوا الإيمان قول وعمل وعقيدة). وقد قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بِضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ» رواه مسلم في الصحيح.

قَالَ: (يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية) هذا الأصل الثاني من أصول أهل السنة والجماعة في الإيمان، وقد اشتهر عن الشيخ حماد الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ أنه يقول: (إن الإيمان خمس نونات: الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان) فجمع الشيخ بين هذين الأصلين المميزين لأهل السنة والجماعة عن غيرهم في باب الإيمان، هذا الأصل ينبني علىٰ الذي قبله، فالإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وقد نقل ابن عبد البر وغيره إجماع أهل الفقه والحديث علىٰ أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقد كان السلف يستغربون الشك في هٰذَا، قيل للربيع بن سليمان -وهو تلميذ الشَّافِعِيّ-: (أليس تقول الإيمان قول وعمل يزيد وينقص؟) فَقَالَ: (سُبْحَانَ اللهِ! ومن يشك في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص! وكيف لا يزيد الإيمان وينقص والذي في القلوب يتفاضل!) يجد الإنسان في قلبه أحيانًا قوة كبيرة، وأحيانًا يجد ضعفًا، والذي في قلوب الناس يتفاضل جدًّا كما في الإخلاص، قد يصلي ألف في مسجد واحد، الذي في قلوبهم متفاضل في قوة الإخلاص وضعفه، وكيف لا يزيد الإيمان وينقص والأعمال من الإيمان! ونحن نرىٰ رأي العين أن الناس يتفاضلون

في الأعمال، فمن الناس مثلًا في الصلاة من يقتصر علىٰ الصلاة المفروضة، ومن الناس من يصلي السنن الرواتب مع المفروضة، ومن الناس من يقوم اَللَّيْل ويوتر، فهؤلاء ليسوا علىٰ درجة واحدة، بل هم متفاضلون، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣].

والإيمان يا إخوة يزداد في فرعين: في كماله الواجب، وفي كماله المستحب. وينقص كذلك في كماله الواجب وكماله المستحب؛ يزيد وينقص. وقد يضعف الإيمان حتىٰ يذهب.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (من كثرت طاعته أزيد إيمانًا ممن هو دونه في الطاعة) وهذا أمر واضح بيِّن.

قَالَ: (ويقولون إن أحدًا من أهل التوحيد ومن يصلي إلىٰ قبلة المسلمين، لو ارتكب ذنبًا، أو ذنوبًا كثيرة، صغائر، أو كبائر، مع الإقامة علىٰ التوحيد لله والإقرار بما التزمه وقبله الله، فإنه لا يكفر به، ويرجون له المغفرة) أهل السنة والجماعة مع قولهم إن الأعمال من الإيمان لا يُكَفِّرون من ثبت إيمانه ووُجدت فيه حقيقته، ولذلك قال الشيخ: (إن أحدًا أهل التوحيد ومن يصلي إلىٰ قبلة المُسْلِمِيْنَ) هذا الذي وُجد فيه الأمران: التوحيد، والصلاة؛ أجمع أهل السنة والجماعة علىٰ أنه إن وافىٰ بذنوب -كبيرة أو صغيرة- أنه لا يخلد في النَّار، لا يخلد في النَّار، من كان موحدًا مصليًا بإجماع أهل السُّنَّة، وإن وافىٰ بذنوب فإن الله قد يغفر له ويدخل الجنة ابتداءً، وقد يعاقبه بذنبه ثم يخرج ويدخل الجنة انتهاءً، فلا يُكّفِّرون، الموحد المصلي بذنب يرتكبه، ولا يخرجونه عن أخوة الإسلام، لكن يقولون هو مؤمن ناقص الإيمان، نخشىٰ عليه العقاب ونرجو له المغفرة؛ لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ففعل الإنسان الموحد المصلي للذنوب التي لم تدل الأدلة علىٰ أنها كفر لا يخرج به عن ملة الإسلام، ولا يلزم به دخوله النَّار، ولا يخلد به في النَّار، لكنه علىٰ خطر عظيم، وأهل السنة والجماعة كما قلت لا يسلبون عنه اسم الإيمان، ولكن يقولون هو مؤمن ناقص الإيمان. وانظر إلىٰ العبارات الدقيقة، قَالَ: (ويقولون إن أحدًا من أهل التوحيد ومن يصلي إلىٰ قبلة المسلمين) حتىٰ يحكي الإجماع، (لو ارتكب ذنبًا، أو ذنوبًا كثيرة، صغائر، أو كبائر) ثم انظر إلىٰ قوله (مع الإقامة علىٰ التوحيد لله) يعني لو جاء بكفر، لو جاء بشرك أكبر يخرج عن هٰذَا. (والإقرار بما التزمه وقبله عن الله فإنه لا يَكفُرُ به أو لا يُكّفَّرُ به) يصح هذا ويصح هٰذَا، (ويرجون له المغفرة).

ثم قَالَ: (واختلفوا في متعمدي ترك الصلاة المفروضة حتىٰ يذهب وقتها من غير عذر) هنا انتقل إلىٰ خلاف أهل السنة والجماعة في أمر واحد، وهو من ترك الصلاة مُقِرًّا بوجوبها متكاسلًا عن فعلها، هل يكفر بهذا الذنب أم أنه كسائر الذنوب الأخرىٰ يكون تحت المشيئة؟ فمقصود الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ أن أهل السنة مع اتفاقهم علىٰ أصول الإيمان اختلفوا في هذه المسألة، لا لأصل فاسد عندهم وإنما للأدلة بحسب فهمهم لها. مسألة تارك الصلاة يا إخوة كسلًا أهل السنة والجماعة عندما تكلموا فيها إنما تكلموا تبعًا للأدلة، وأما أهل الأهواء فتكلموا لأصولهم الفاسدة، ولذلك من فقه ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ أنه لما ذكر مسألة ترك الصلاة كسلًا (وهل يكفر تارك الصلاة كسلًا) قسم الأمر إلىٰ قسمين: كلام أهل السُّنَّة، وكلام أهل البدعة، لم؟ لأن أهل السنة يبنون علىٰ الأدلة مع صحة أصولهم، وأهل البدعة يبنون علىٰ أصولهم الفاسدة أصلًا، وهو أن العمل ليس من الإيمان، والصلاة عمل، إذن لن يكفر تاركها عندهم.

ونفهم من هذا يا إخوة -هذه فائدة عظيمة نفيسة- أن من خالف في بعض المسائل مع صحة أصوله العقدية كأصول الإيمان، وإنما خالف لنظره في الأدلة لا يُرمىٰ بأنه مرجئ، ولا يُطعَن في عقيدته، وإنما يكون الناس المختلفون في مثل هذه المسألة تبعًا للأدلة ما بين مصيب مأجور أجرين، ومخطئ مأجور أجرًا واحدًا. بعض الناس قد يأتي لإمام من أئمة المسلمين ويجد في كلامه ما يرىٰ أن فيه خللًا، مباشرة يقول هذا مرجئ، هذا من المرجئة، هذا وافق المرجئة؛ ولا ينظر إلىٰ ما ينظر إليه أهل السنة وَالْجَمَاعَة، وهو لماذا قال هٰذَا، أهل السنة والجماعة يقولون لم قال هٰذَا؟ فاذا كانت أصوله صحيحة يقرر ما يقرره أهل السنة والجماعة من أن الإيمان قول واعتقاد وعمل وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وقال القول للأدلة، لقول الله ولقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولآثار الصَّحَابَة، فإنهم لا يطعنون في عقيدته ولا يرمونه بالمعايب التي تُرمىٰ بها الفرق. أما إذا كان بنىٰ كلامه علىٰ أصل فاسد فمن بنىٰ علىٰ الأصل الفاسد أُلحق به حكم أهل الأصل الفاسد.

وهذه مسألة مهمة جدًّا يا إخوة، وأصلًا يا إخوة والله لا ينبغي لإنسان أن يدخل نفسه في أمر غير لازم له، فإن السلامة لا يعدلها شيء. يا إخوة لا يلزم بلدكم لماذا تستوردونه! أمر ما يلزم بلدكم ولا يحتاج إليه بلدكم لماذا تستوردونه!؟ أمر لا يلزمك أن تتكلم فيه فلماذا تتكلم؟ ولماذا

بعض إخواننا ينشبون في حلوق إخوانهم: ماذا تقول فيه كذا؟ يا أخي أنا.. لا! لا بد أن يكون لك موقف؛ هذا غير صحيح، إلا فيما يجب شرعًا، فإلزام الناس بما لا يلزم هذا ظلم. ثُمَّ لا ينبغي لطلاب العلم أن يهجموا علىٰ ما هو من حق العُلَمَاء؛ بعض الأحكام والكلام مثلًا في النوازل، وبعض الأحكام العظيمة والتي تترتب عليها أمور خطيرة، هذا من حق العُلَمَاء، أما طالب علم ربما قرأ كتابًا أو كتابين أو كان عند الشيخ مقبل لمدة شهر أو شهرين، أو عند الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ لمدة شهر أو شهرين، أو في المدينة لمدة شهر أو شهرين، ثم ظنه شَيْخُ الإِسْلَامِ، يهجم علىٰ ما يتحرز العلماء عن الهجوم عليه! هذا يا أخوة لا ينبغي. أنا لا أعيبه ولكني أوجهه، لا ينبغي للإنسان أن يقحم نفسه فيما لا يلزمه، والسلامة لا يعدلها شيء، فهذه القضية مهمة.

ثم لا يجوز الحكم إلا وقد أحكم الإنسان أصول الحكم؛ يا أخوة إذا كان القضاء في شاةٍ وفي دجاجة لا بد فيه من إتقان أصول الحكم فكيف بالحكم علىٰ دين الناس!؟ كيف بالحكم علىٰ سلامة العقيدة!؟ كيف يتقحمه من لا يحسن أصول الحكم!؟ ثم تتفرق الكلمة، ثم تضعف الدعوة، ثم يشتغل الناس عن الدعوة إلىٰ الله بما يكون بينهم. لا بد يا إخوة من أن يكون.. وأنا دائمًا أقول الإنسان لا بد له من أربع عيون، ما تكفيه عينان، لا بد من أربع عيون: العلم، والعدل، والعقل، والعاطفة؛ لا بد من هذه العيون الأربعة. لا بد من علم حتىٰ يستبصر، ولا بد من عدل حتىٰ لا يظلم، ولا بد من عقل فإن العقل يحكم الأمور والشرع حاكم علىٰ العقل، والعاطفة؛ فإن الجامدة حتىٰ يخرج عن كونه إنسانًا لا بد من عاطفة ولكنها عاطفة رشيدة يقيدها العقل، ليس كل ما دعت إليه العاطفة يتبعه الإنسان، بل ينتقل من عاطفته إلىٰ عقله، وليس كل ما يدعو إليه العقل يتبعه الإنسان، بل ينتقل من عقله إلىٰ علمه، ويحيط كل ذلك بالعدل. فينبغي لكل واحد منا أن يتنبه لهذه القضية العظيمة.

أقول قد اتفق العلماء علىٰ أن تارك الصلاة جاحدًا لوجوبها يكفر، وإنما اختلفوا فيمن أقر بوجوبها وتركها كسلًا وتهاونًا هل يكفر؟ ولذلك قال الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ: (واختلفوا في متعمدي ترك الصلاة المفروضة حتىٰ يذهب وقتها من غير عذر) ومن غير إرادة فعلها بعد الوقت، (فكفره جماعة) من أهل السنة (لما روي عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « (بين العبد وبين

الكفر ترك الصلاة) » وقوله: « (من ترك الصلاة فقد كفر) » و: « (من ترك الصلاة فقد برأت منه ذمة الله)») حديثان، وليس المراد الآن أن نتكلم عن الأحاديث ودلالاتها، لكن المقصود هنا يا إخوة أن الذين كفروا تارك الصلاة كسلًا هم من أهل السنة وَالْجَمَاعَة، فلا يقال عن من ترجح عنده أن تارك الصلاة كسلًا يكفر لا يقال إنه مكفِّر، ولا يقال إنه متشدد؛ كما نسمع الآن بعض العبارات، يرمون بعض مشايخنا بأن عندهم تشددًا، وأنهم يكفرون، ويذكرون هذه المسألة، وهذه المسألة معروفة عند أهل السنة وَالْجَمَاعَة، ويذكرها أهل السنة والجماعة منسوبة إلىٰ أهل السنة والجماعة بطرفيها، بقوليها.

قَالَ: (وتأول جماعة) قال أكثر العلماء إن تارك الصلاة كسلًا عاصٍ مرتكبٌ لكبيرة وعلىٰ خطر عظيم، غير أنه لا يكفر. وتأولوا الأحاديث الواردة في ذلك، ولذلك قال الإسماعيلي: (وتأول جماعة منهم أنه يريد بذلك) أي أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد بذلك (من تركها جاحدًا لها فإن الترك قد يطلق علىٰ الجحود. (قال يوسف عليه السلام: {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ} [يوسف: ٣٧]) يا إخوة هل كان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ ملة القوم الذين لا يؤمنون بالله ثم ترك؟ لا، قطعًا لا، إذًا الترك هنا له معنىٰ. فالمقصود أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن قد تلبس بالكفر الذي كان عليه القوم الذين لا يؤمنون بالله، لكنه عَلَيْهِ السَّلَامُ ترك كفرهم بجحوده له، فالترك قد يُقصد به الجحود، يعني هذا وجه ذِكر الآية هنا، الدلالة علىٰ أن الترك قد لا يقصد به المفارقة، وإنما يقصد به الجحود، فمن جحد فعل قوم وأنكر فعل قوم فقد تركه.

ولعلنا نقف عند هذه المسألة، وغدًا إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سنأخذ مجلسين. وإن شاء الله نسير علىٰ الطريقة التي بدأنا بها، يعني نختصر اختصارًا مفيدًا لا يخل بالمقصود، ونحرص فيه علىٰ الفوائد المفيدة لطلاب العلم. وهناك مسائل لن نقف معا طويلا؛ لأنها يعني يسيرة جدًا وسهلة الفهم، فإن شاء الله غدًا في مجلسين نختم شرح هذا الكتاب. ثم إذا بقي وقت نجيب عن الأسئلة إِنْ شَاءَ اللهُ، ولكن تكون الأسئلة مكتوبة، يعني من عنده سؤال يكتب مثلًا ويسلمه للشيخ علي مصري أو الشيخ سالم غانم؛ اسم جميل سالم غانم هٰذَا، سلامة وغنيمة. فمن عنده سؤال يكتبه

ويسلم إِمَّا للشيخ علي باعتبار أنه معكم وكذا أو الشيخ سالم، ثم الأسئلة تُعرض علي، فإن بقي وقت أجبت عنها إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يجعل هذا الوقت الذي اقتطعتموه من أوقاتكم خيرًا وبركة ونعمة عليكم وعلىٰ أهليكم، وأن يجعله سببًا لرضاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنكم، وأن يجعلني وإياكم من عباده الصالحين العاملين بالكتاب وَالسُّنَّة، المتمسكين بالتوحيد وَالسُّنَّة، المنابذين للشرك والبدعة، وأن يجعلني وإياكم رحمةً علىٰ أمة محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعلنا رحمةً علىٰ الأمة كما جعل نَبِيِّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمةً للعالمين، وأن يرزقنا نصيبًا من هٰذَا، وأن يجعلنا سببًا لقوة دعوة أهل السنة وَالْجَمَاعَة، ودعوة التوحيد في هذا البلد، ونعوذ بالله نعوذ بالله من أن نكون سببًا لضعف دعوة التوحيد، ولضعف الدعوة إلىٰ كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وسنة رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والله تَعَالَىٰ أعلىٰ وأعلم، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ علىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد.

[المجلس الثالث]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نواصل شرح لكتاب اعتقاد أهل السنة للشيخ شيخ الشافعية الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وقبل أن نشرع في شرح المقصود في هذا المجلس فإني أشير إلىٰ أني ذكرت أن مسألة المصحف ستأتي إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم أنسيت الكلام عنها، فأقول: إن المصحف فيه جهتان: فيه جهة المداد والورق، وهذه مخلوقة، وفيها المكتوب فيه، وهذا هو القرآن، هو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، ولذلك أهل السنة يوجبون تعظيم المصحف لأن فيه كلام الله، ويحرّمون إهانته، خلافًا لما ذهب إليه بعض أهل البدع، نعوذ بالله من سوء الحال.

وبناء عليه فإن الإنسان إذا قال: والمصحف، يحلف بالمصحف إن أراد المداد والورق، فهذا حلف بالمخلوق ولا يجوز، وإن أراد ما في المصحف فهذا حلف بكلام الله عَزَّ وَجَلَّ، والقاعدة أنه ينبغي اجتناب المشتبه، فلا يحلف الإنسان بالمصحف، ولا يقول: والمصحف، لكن إذا قال: والمصحف، وعنى به المكتوب، عنى به ما فيه فإنها يمين منعقدة، وكذلك لا ينبغي أن يقول: ورب المصحف، لأنه إذا قال: ورب المصحف فإنه يحتمل أنه يُريد المكتوب، وإذا كان المكتوب فإنه يصبح مثل القرآن، فإذا قال: ورب المصحف كأنه قال: ورب القرآن، فيكون مربوبًا، والمربوب مخلوق، لكن أنبه إلى شيء وهو أن الرب قد يأتي بمعنى الصاحب، كما يقال: ورب العزة، ورب البيت، ففي هذه الحال يجوز أن يقال: ورب القرآن ورب المصحف، لكن لما كان ذلك لا يعنى عند الناس كثيرًا وكان مشتبهًا فإنه ينبغي اجتنابه.

إذًا القرآن كما ذكرنا هو كلام الله، وهذا المعلوم، ولذلك يجوز الحلف به، فيقول الإنسان: والقرآن، وهي يمين منعقدة، وأما قول: ورب القرآن فلا يجوز؛ لأن قول الرب يشعر بأنه مربوب، وهذا لا يجوز، لأن القرآن غير مخلوق كما تقدم معنا، وإن كان قد ورد مثلًا في الحديث أن القرآن يقول: أي ربي، فإن المقصود بالرب هنا الصاحب، وكذلك بالنسبة للمصحف فإذا قال الإنسان: والمصحف، فإنه يستفصل منه، فإن أراد الورق والمداد ونحو ذلك فإنه يقال له: هذا يمين لا يصلح،

وإذا قال: إن مقصوده القرآن أو المكتوب في المصحف فإن هذا يمين وينعقد، لكن ينبغي ترك مثل هذا واجتناب مثل هذا لما فيه من الاحتمال، ثم ننتقل إلى ما نريد شرحه في هذا اليوم وذلك أنا كنا قد وصلنا إلى تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة، وعرفنا أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة باتفاقهم وإجماعهم وإطباقهم قول باللسان، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، واعتقاد بالجنان وهو الإيمان بالأركان الستة التي جاءت في حديث جبريل، وعمل بالجوارح والأركان.

وعرفنا أن أهل السنة والجماعة يقولون: إن من حصل منه قول اللسان واعتقاد الجنان وكان مصليًا فإنه يثبت له الإيمان، فإذا فعل ذنبًا أو ذنوبًا صغيرة أو كبيرة فإن هذا لا يخرجه عن حد الإيمان، ولا يسقطه عن حد الإيمان، لكنه يضعف إيمانه، فيكون مؤمنًا ناقص الإيمان، ولكنه إذا وافى الله بذنبه، لم يتب من ذنوبه، فإنه تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة ابتداء، وإن شاء عذبه بذنبه ثم أدخله الجنة انتهاء، فلا يخلد موحد في النار وإن دخلها، ثم عرفنا أن أهل السنة والجماعة اختلفوا في حكم تارك الصلاة كسلًا، وأن القولين لا يخرجان عن كلام أهل السنة والجماعة.

ثم قال الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَقَالَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ)**، أي كثير من أهل السنة والجماعة، **(إن الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ)**، والإسلام فعل ما فرض على الإنسان أن يفعله، وإذا ذكر كل اسم على حدته مضمومًا إلى الآخر فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعًا أو مفردين يعني المسلم والمؤمن أريد بأحدهما معنى لم يُرد بالآخر، وإن ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم، هذه مسألة معنى الإيمان والإسلام عند اجتماعهما وانفرادهما، فالإسلام والإيمان إذا ذكرا معًا كما في حديث جبريل عليه السلام، فإن الإسلام يقصد به الأعمال الظاهرة، ورأسها الأركان الخمسة التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام، وإن الإيمان يقصد به عقد القلب جزمًا، وهو الإيمان بالأركان الستة التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام، وقال بعض العلماء: الإيمان إذا اجتمع مع الإسلام فالإيمان قول وعمل القلب، والإسلام العمل الظاهر.

وقال بعضهم: الإسلام إذا ذُكر مع الإيمان فالإسلام فعل الواجبات المفروضات، وترك المعاصي المحرمات، إذا ذُكر الإسلام والإيمان معًا، قال بعض أهل السنة: إن الإسلام هو فعل

الواجبات المفروضات، وترك المعاصي المحرمات، والإيمان هو ما يكون في القلب، ثم ذكر الشيخ فقال: (الإسلام والإيمان واحد)، أي أن الإسلام هو الدين كله، والإيمان هو الدين كله، فهما بمعنى واحد، فهما مترادفان، وهذا في الحقيقة عند الانفراد صحيح، فإذا قيل: الإسلام، فالإسلام هو دين الله الذي جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صار معهودًا على هذا، وإن كان أصل الإسلام هو ما جاء به الأنبياء عليهم السلام، لكن بعد بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صار معهودًا فيما جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالإسلام دين الله الذي جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإيمان إذا انفرد هو بنفس المعنى: دين الله الذي جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيكون شاملًا للدين كله، قال الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ:٨٥]، فَلَوْ أَنَّ الْإِيمَانَ غَيْرِهِ لَمْ يُقْبَلْ)، يعني لو أن الإيمان غير الإسلام فإنه صار في دائرة عدم المقبول، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ:٨٥]، فلو كان الإيمان غير الإسلام لكان داخلًا في حد غير المقبول، والإيمان مقبول، إذًا هذه الآية تدل على أن الإسلام هو الإيمان، وأن الإيمان هو الإسلام.

(وَقَالَ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦)﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦])، فوصفهم بالإيمان ووصفهم بالإسلام، وهذا يدل على أنهما واحد، **قال رَحِمَهُ اللَّهُ**: (وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ مُخْتَصٌّ بِالِاسْتِسْلَامِ لِلَّهِ وَالْخُضُوعِ لَهُ وَالِانْقِيَادِ لِحُكْمِهِ فِيمَا هُوَ مُؤْمِنٌ بِهِ)، ما معنى هذه الجملة؟ (وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ مُخْتَصٌّ بِالِاسْتِسْلَامِ لِلَّهِ وَالْخُضُوعِ لَهُ وَالِانْقِيَادِ لِحُكْمِهِ فِيمَا هُوَ مُؤْمِنٌ بِهِ) أي في الظاهر، والإيمان ما في القلب، وهذا كما قلنا: عند اجتماعهما، (كَمَا قَالَ سبحانه: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤])، أي أنهم خضعوا واستسلموا في الظاهر، وانقادوا في الظاهر، لكن الإيمان لم يدخل قلوبهم، (وَقَالَ سبحانه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧]، وَهَذَا أَيْضًا دَلِيلٌ لِمَنْ قَالَ: هُمَا

وَاحِدٍ)، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧].

وإذا فُصل الأمر علمنا أن القولين لم يتواردا على محل واحد، فإذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ بِرَحْمَتِهِ)، **هذا تضمن أمرين:**

الأمر الأول: أن بعض أهل التوحيد يدخلون النار، بسبب ذنوبهم، وأن الله لم يشأ أن يعفو عنهم، فقول بعض الناس: إن كل من وحد لا يدخل النار قول غير صحيح، بل من أهل التوحيد من يوافون بذنوب يستحقون بها دخول النار، ولا يشاء الله عَزَّ وَجَلَّ أن يعفو عنهم، فيدخل قوم من أهل التوحيد النار، لكنهم يخرجون منها، إما بعد أن يعاقبوا على ذنوبهم ويمحصوا بهذا العقاب من ذنوبهم، وإما قبل ذلك، فإن من الموحدين من يدخل النار ثم يخرج منها عما قريب، وهذا برحمة الله عَزَّ وَجَلَّ، وجعل الله عَزَّ وَجَلَّ لذلك أسبابًا، منها: الشفاعة، وأهل الجنة مثلًا يشفعون لإخوانهم الذين دخلوا النار، ويقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، أي تحرم صور أهل الجنة على النار، فيدخلون النار، ومن وجدوه ممن عرفوه أخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا، كما جاء ذلك في الصحيحين.

ولذلك طون الإنسان مع أهل السنة، مع الصالحين من أهل السنة حتى ولو كان يرى في نفسه نقصًا، ولو كان يرى في نفسه قصورًا فإن في هذا خيرًا عظيمًا له، فإنه إن استحق دخول النار، ودخل النار بذنبه، فإن هؤلاء الصالحين الذين يدخلون الجنة يشفعون له ولأمثاله، ولذلك هم القوم لا يشقى بهم جليسهم، وقال الشيخ: (وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ)، لما ذكر أن الموحدين من أهل النار يعني يخرج قوم منهم بشفاعة الشافعين ذكر أن الشفاعة حق، فأهل السنة والجماعة مطبقون على أن الشفاعة حق، والشفاعة يحصل بها إكرام الشافعي ورحمة المشفوع له، والشفاعة إنما تكون بإذن رب العالمين، فالشفاعة كلها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال ربنا: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، فلا تطلب الشفاعة إلا ممن يملكها، لا تطلب الشفاعة ممن يرجى أن يشفع، وإنما تطلب الشفاعة ممن

يملك الشفاعة، ويأذن في الشفاعة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والشفاعة لمغفرة الذنوب إنما هي لأهل التوحيد خاصة، هذه الشفاعة التي تكون من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأقوام عليهم ذنوب ليغفر الله ذنوبهم إنما تنال أهل التوحيد.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا» رواه مسلم، فأهل الشرك لا يدخلون في شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمغفرة الذنوب، نعم يدخلون في شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفصل القضاء، والشفاعة الخاصة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض الكفار، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يُخفف عنه العذاب، فعندما يسألنا سائل: هل يدخل الكفار في شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فإن الجواب يكون: بأن في هذا تفصيلًا، فأما شفاعته صلى الله عليه لفصل القضاء بين الناس فإنها شفاعة عامة، كذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشفع لبعض الكفار بأن يخفف عنهم العذاب مع خلودهم في النار.

وأما الشفاعة التي هي لمغفرة الذنوب ولدخول الجنة فإنما هي لأهل التوحيد، والمعلوم أنه لن يشفع معبود لعابده يوم القيامة، والمشركون لا يشفع لهم أحد، ولن يشفع أحد إلا بإذن الله، ولا يشفع إلا لمن ارتضى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والشفاعة يوم القيامة منها شفاعة خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي الشفاعة العظمى لأهل الموقف أن يرضي الله بينهم، والشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، والشفاعة لبعض الكفار أن يخفف عنهم العذاب، هذه الشفاعات خاصة بالنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن الشفاعة: ما يكون للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولغيره، لكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقدم فيها، وهذه الشفاعة يُكرم الله عَزَّ وَجَلَّ بها من شاء من عباده، كالشفاعة لقوم من الموحدين ألا يدخلوا النار أصلًا، فإن هذه الشفاعة عامة، وكذلك الشفاعة لمن دخل النار من الموحدين أن يخرج منها، فإن هذه الشفاعة عامة، أعني من جهة الشافع، فإن النبي صلى الله عليه يشفع، وإن بعض الصالحين يشفعون، وإن الملائكة تشفع.

وكل هذه الشفاعات قد أجمع عليها أهل السنة والجماعة، وقد ثبتت بالأدلة كما هو مبين في موضعه، قال: (وَأَنَّ الْحَوْضَ حَقٌّ)، نعم أهل السنة والجماعة قاطبة يؤمنون بحوض النبي صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عرصات يوم القيامة، فهم يؤمنون أن لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوضًا عظيمًا متسعًا في عرصات يوم القيامة، والحوض كما تعلمون هو مجمع الماء، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن لكل نبي حوضًا، وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارده، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة» رواه الترمذي وصححه الألباني، واختص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحوض الأعظم، فحوضه أعظم حياض الأنبياء عليهم السلام، وهو واسع الأرجاء، هو مربع كل ضلع منه مسيرة شهر، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقف عليه ينظر من يرده من أمته، وقد يسقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعض الناس بيده.

وماء الحوض أبيض، أبيض من اللبن وأبيض من الثلج وأبرد من الثلج، وريحه أطيب من ريح المسك، وطعمه أحلى من العسل باللبن، وآنيته أكثر من نجوم السماء، وأصل مائه من الجنة، من يرد عليه من المؤمنين بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتلبس بالأهواء والبدع، يشرب منه، ومن يشرب منه لا يظمأ بعده أبدًا، ويزاد أقوام تركوا السنة وغيروا وبدلوا وأحدثوا عن هذا الحوض، ولذلك من أراد الشرب من حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليلزم سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: (وَالْمِيزَان حَقّ)، نعم أهل السنة والجماعة يثبتون الميزان وأنه ميزان حقيقي، وأن له كفتين كما دلت عليه النصوص، وأن له لسانًا، كما أجمع عليه أهل السنة، وأنه يميل بالأعمال، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وأكثر علماء أهل السنة على أنه ميزان واحد، وإنما جُمع باعتبار ما يوزن فيه، لما كان ما يوزن فيه متعددًا جُمع، وإلا فهو ميزان واحد.

واستصغر بعض أهل العلم أنها موازين، كشيخنا الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، والشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ استصغروا أنها موازين، والأمر محتمل، والمهم الإيمان بالميزان وأنه ميزان حقيقي له كفتان ولسان، وهذا الميزان توزن فيه الأعمال، ويوزن فيه العاملون، وتوزن فيه الكتب والسجلات التي فيها الأعمال، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨]، والله إن الفلاح والنجاح هو بطاعة الله عز وحل، حيث يقود ذلك إلى رجحان كفة الحسنات على السيئات، ومن رجحت كفة حسناته ولو بحسنة واحدة دخل الجنة، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الأعراف: ٩]، الخسران إنما هو عند الميزان، عندما توضع الموازين وتوزن الأعمال، فمن

خفت موازينه فذلك هو الخاسر حقًا، قال: (وَالْحِسَاب حَقٌّ)، يعني وأن الحساب حق، نعم يعتقد أهل السنة والجماعة أن الناس يعرضون على الله عرضًا عامًا لا تخفى منهم خافية، وأن الناس يسألون عن أعمالهم ويحاسبون على أعمالهم، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

فمن الناس من لا يحاسب أصلًا فضلًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أمته: «يدخل من هؤلاء الجنة سبعون ألفًا بغير حساب»، ثم بيّن أنهم الذين: «لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون» كما في الحديث المتفق عليه، والمقصود: أنهم حققوا كمال التوحيد، حتى تعلقت قلوبهم بربهم تعلقًا تامًا، حتى أعتنهم عن كثير من الأسباب التي يفعلها الناس، فلفضلهم وتقدمهم على غيرهم يفضلهم الله عَزَّ وَجَلَّ على غيرهم يوم القيامة بهذه المنزلة العلية الرفيعة وهي أنهم لا يحاسبون، وإنما يأخذون كتبهم بأيمانهم، وينظرون فيها مستبشرين فرحين، ويدخلون الجنة.

ومن الناس من تعرض عليه أعماله عرضًا بدون مناقشة، أي أنه يقال له: فعلت كذا، فعلت كذا، فعلت كذا، فعلت كذا ولا يناقش، لا يُقال له: لم فعلت كذا، ولكن يعرض عليه عمله عرضًا، ثم يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: «سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» كما في الحديث المتفق عليه، ومن الناس من يناقش الحساب مناقشة، فيقال له: فعلت كذا فلم فعلت كذا، فعلت كذا فلم فعلت كذا، ومن نوقش الحساب عُذب كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا متعلق بالمسلمين، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإن لا حسنات لهم، وأعمالهم الصالحة يعني الطيبة لا تكون مقبولة، وقد يجازون عليها في الدنيا، نجد أن بعض الكفار مثلًا يحسن إلى الفقراء، يحسن إلى الأيتام، هذه أعمال ما أريد بها وجه الله، فهي ليست أعمالًا صالحة مقبولة، ولكنها صالحة في ظاهرها وفي صورتها، فهذه لا تنفعهم شيئًا، بل هي كالهباء المنثور، ولكن تُعد أعمالهم ويوقفون عليها، تعد أعمالهم السيئة ويوقفون عليها.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَلا يَقْطَعُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ مَنْ أَهَلِّ الْمِلَّة أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ لِأَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ مُغِيب عَنْهُمْ لا يَدْرُونَ عَلَىٰ مَاذَا يَمُوت: أَعَلَىٰ الإِسْلامَ أَمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ؟)

مقصوده رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أن أهل السنة والجماعة لا يقطعون لأحد بعينه أنه من أهل السنة أو أنه من أهل النار، لكن يرجون للطائع ويخافون على العاصي، **لأن علم ذلك غيب عنهم من جهتين:**

الجهة الأولى: أنهم لا يدرون ما في القلوب، فقد يكون الإنسان في ظاهره مسلمًا، ويعمل ما يعمله المسلمون، لكن في قلبه نفاق، لا يكون به من المسلمين، فإن ما في القلوب لا يعلمه إلا الله، وإن كنا مأمورين بأن نعامل الناس بالظاهر، لكن من حيث الحكم بالجنة والنار لإنسان بعينه فإنا لا نجزم بهذا، بل إذا رأينا طائعًا رجونا له الجنة، وإذا رأينا عاصيًا خفنا عليه النار لهذا الوجه؛ وهو أن الذي في القلوب غيب، لا يطلع عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نحن لا نعلم ما في القلوب.

والوجه الثاني: أن لا نعلم ماذا سيموت عليه الإنسان، هذا غيب، فقد يعمل الإنسان بعمل أهل الجنة ثم يختم له بعمل أهل النار، وقد يعمل الإنسان بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة، فهذا غيب عنا، وإن كان الأمر كما قلت: أنه من حيث الظاهر يُحكم بالظاهر، فمن أظهر الإسلام حكمنا بإسلامه، وعاملناه معاملة المسلم، وصلينا عليه، وفعل بعض الناس أنه إذا كان لا يعرف الشخص بعينه لا يصلي عليه، هذا غير صحيح، هذا عمل باطل، ما دام أنه أظهر الإسلام وشُهد له بالإسلام فإنه يصلى عليه، يُغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين.

قال رحمه الله: (وَلَكِنْ يَقُولُونَ: إِنَّ مِنْ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ مُجْتَنِبًا لِلْكَبَائِرِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْآثَامِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)، هذا من حيث الوصف لا من حيث التعيين، (لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الذين آمنوا وعملوا الصَّالحَات﴾ [البينة: ٧])، فوصفهم بالإيمان والعمل الصالح، ولم يذكر عنهم ذنبًا كما قال الشيخ: لم يذكر عنهم ذنبًا، ﴿أُولَئِكَ هم خَيْرُ الْبَرِيَّة (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [البينة: ٧، ٨]، فهؤلاء الذين جاءوا بالإيمان والعمل الصالح، ولم يأتوا بالبدع ولا بكبائر الذنوب هؤلاء هم أهل الجنة ابتداء، هذا مقصود الشيخ، من يدخلون الجنة ابتداء، أما من يوافي بذنب وهو موحد فقد تقدم أنه قد يدخل الجنة ابتداء بمغفرة الله وعفوه، وقد يدخل النار ثم يخرج منها ويدخل الجنة.

ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَمِنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَيْنِهِ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَصَحَّ لَهُ ذَلِكَ عَنْهُ فَإِنَّهُمْ يَشْهَدُونَ لَهُ بِذَلِكَ اتِّبَاعًا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِه)**، نعم أهل السنة والجماعة يقطعون بدخول أهل الجنة لأناس بأعيانهم بأسمائهم، وهؤلاء هم الذين

سماهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنهم من أهل الجنة، كالعشرة المبشرين بالجنة، وهم الخلفاء الأربعة والزبير وطلحة وعبد الرحمن وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد رضي الله عنهم أجمعين، وكذلك مثلًا ثابت بن قيس شهد له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، وعبد الله بن سلام شهد له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، وفاطمة بنت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شهد لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة، فنحن نشهد لهم بالجنة بأعيانهم، وأنهم يدخلون الجنة بأعيانهم.

وأما من عداهم فإنا نقطع أن من لقي الله موحدًا مات على ذلك يدخل الجنة، إما ابتداء وإما انتهاء كما تقدم بيانه.

قال: (وَيَقُولُونَ: إِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ يُعَذِّبُ اللهُ مِنْ اسْتَحَقَّهُ أَنْ شَاءَ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ)، نعم يطبق أهل السنة والجماعة على إثبات عذاب القبر، فأهل السنة والجماعة مثبتون على أن في القبر عذابًا، وعلى أن في القبر نعيمًا، فالقبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، وقد دل على ذلك القرآن كما ذكر المصنف، ودلت عليه السنة، وقد روى أحاديث عذاب القبر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثنان وثلاثون صحابيًا، رووا أحاديث عذاب القبر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ندبًا المؤمن أن يتعوذ بالله من عذاب القبر في آخر كل صلاة، كما عند مسلم في الصحيح، فهذا يدل دلالة بينة على ثبوت عذاب القبر، وعلى أن المؤمن قد يعذب في قبره إن فعل الأسباب التي يستحق بها عذاب القبر.

والله عَزَّ وَجَلَّ يُعذب من استحق عذاب القبر بعدله إن شاء، ويعفو عن بعض من يستحق عذاب القبر بفضله إن شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **ولذلك على المؤمن أن يحرص حرصًا شديدًا على اجتناب عذاب القبر بأمرين عظيمين:**

الأول: أن يحرص على اجتناب أسباب عذاب القبر، كالنميمة مثلًا والسعي في الإفساد بين الناس، وأعظمها وأقبحها: السعي للإفساد بين العلماء وطلاب العلم، أن يحرص الإنسان على أن يفسد ما بين شيخين فاضلين أو عالمين فاضلين أو بين طالبي علم متحابين، هذا أقبح النميمة، والنميمة سبب من أسباب عذاب القبر، فينبغي على الحريص على نفسه وعلى السلامة من عذاب القبر أن يبتعد بعدًا شديدًا عن أسباب عذاب القبر، ومنها النميمة، ولا سيما هذا الذي يقع من بعض

إخواننا من السعي بين المتحابين من أهل العلم وطلاب العلم للوقيعة بينهم، وكم فرق هذا اللسان بين الأحبة، كم من طالبي علم عاشا سنين عددًا متحابين متعاضدين متعاونين على الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فدخل نمام بينهما، فأفسد ما بينهما، وقطع الصلة بين الأحبة.

فالشاهد: أن الأمر الأول الذي يجتهد فيه المؤمن حتى يجتنب عذاب القبر أن يجتنب أسباب عذاب القبر.

والأمر الثاني: أن يكثر من الاستعاذة بالله من عذاب القبر، ومن عجب أن بعضنا إذا انتهى من الواجب عليه في التشهد بادر إلى السلام، ولا يستعيذ بالله من الأربع التي كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بالاستعاذة منها، وقد قال بعض أهل العلم بوجوب الاستعاذة في الصلاة المفروضة، والقول قوي وإن كان الراجح أن هذا على سبيل الندب، لكن للإنسان فيها مصلحة عظيمة، فلا ينبغي للإنسان أن يعجل، بل ينبغي أن يدعو، وعلى الأقل أن يستعيذ بالله من هذه الأربع التي كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بالاستعاذة منها في آخر التشهد.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾ [غافر: ٤٦])، هذه الآية دليل على عذاب القبر، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾، يعرضون، فكان هذا عرضًا، ودل ذلك على أنه ليس هذا الذي يكون يوم القيامة، لأن الذي يكون يوم القيامة أنهم يدخلون النار، أما في هذا العذاب فإنهم يعرضون عليها عرضًا، ثم قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، فهذا تعرض عليهم النار يعذبون بذلك غدوًا وعشيًا، وأما النار عند دخولها نعوذ بالله من دخول النار فإنها تكون مطبقة عامة، ثم قال الله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾، فعلمنا أن الذي قبل ذلك قبل قيام الساعة، فدلت هذه الوجوه الثلاثة على عذاب بالنار قبل يوم القيامة، **وهذا يحتمل قبل يوم القيامة يحتمل أمرين:** يحتمل أن يكون في الدنيا، ويحتمل أن يكون في القبر، وقد علمنا يقينًا أنه ليس في الدنيا، فبقي أنه في القبر، فتعين أن هذا العذاب يكون في القبر.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَأَثْبَتَ لَهُمْ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا عَذَابًا بِالْغُدُوِّ وَالْعَشِيِّ دُونَ مَا بَيْنَهُمَا)، يعني دون ما بين الغدو والعشي، (حَتَّىٰ إِذَا قَامَتْ الْقِيَامَةُ عُذِّبُوا أَشَدَّ الْعَذَابِ بِلَا تَخْفِيفٍ عَنْهُمْ كَمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا)، وقال أيضًا يعني ذكر من الأدلة: (وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤] يَعْنِي: قَبْلَ فَنَاءِ الدُّنْيَا)، المعيشة الضنك فسرها جماعة من العلماء بأنها في القبر، حيث يعذب في قبره ويضيق عليه قبره، ويكون في ضيق في قبره، وقد ورد عن ابن حبان بسند حسن ما يدل على أن المعيشة الضنك في القبر، ورد ذلك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسند حسنه بعض أهل العلم وجوده بعض أهل العلم، قال الشيخ: (وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤] يَعْنِي: قَبْلَ فَنَاءِ الدُّنْيَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ قَبْلَ ذَلِكَ: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤])، قال الشيخ: (بَيَّنَ أَنَّ الْمَعِيشَةَ الضَّنك قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)، لما كان قبل يوم القيامة يشمل ما في القبر وما في الدنيا دلل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ على أنه لا يُراد بها المعيشة في الدنيا، فقال: (وَفِي مُعَايَنَتِنا الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمُشْرِكِينَ فِي الْعَيْشِ الرَّغْدِ وَالرَّفَاهِيَةِ وَالرَّفَاهَةِ فِي الْمَعِيشَةِ)، يعني أنه في الدنيا ليسوا في معيشة ضنك، بل نرى أنهم يملكون الأموال ويملكون ما يترفهون به في الدنيا.

قال: (مَا يُعْلَمُ بِهِ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِهِ ضِيقُ الرِّزْقِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لوجودنا)، لوجودنا تعني لأنا وجدنا، لا تعني أنا موجودون، وإنما يقصد لوجداننا، لأنا وجدنا، (الْمُشْرِكِينَ فِي سَعَةٍ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ قَبْلَ الْمَوْتِ بَعْدَ الْحَشْرِ)، أي تعين أن المراد بذلك في القبر، **قال رحمه الله:** (وَيُؤَمِّنُون بِمَسْأَلَة مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ)، أي يعتقد أهل السنة والجماعة أن المقبور، يا إخوة كل من مات فما استقر فيه فهو قبره، لو أن إنسانًا مات في الغابة فأكله أسد واستقر في بطن الأسد فبطن الأسد قبره، لو أن الإنسان غرق في البحر فابتلعه حوت فبطن الحوت قبره، والمدفون هذه الحفرة قبره، كل مقبور فهو في قبره يسأل ويفتن إلا من استثني بدليل.

كل مقبور يفتن ويسأل إلا من جاء الدليل باستثنائه كالشهيد، فإن الشهيد الذي قُتل في جهاد صحيح يبتغي بذلك وجه الله لا يفتن في قبره، وهذه الفتنة أنه يسأل عن ربه وعن نبيه وعن دينه، يأتيه ملكان أسودان أزرقان، ما معنى هذا: أسودان أزرقان؟ أي لشدة سوادهما كأن فيهما زرقة،

وهذا تراه، بعض الناس يكون شديد السواد، حتى كأن في لونه زرقة، فهذا المقصود الشدة المتناهية في السواد، يأتيه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر أو منكر، وردت الروايات بهذا وهذا، والنكير أو نكير، وردت الروايات بهذا وهذا، (عَلَىٰ مَا ثَبَتَ بِهِ الْخَبَرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، والشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في كتابه: "أحكام الجنائز" جمع الروايات الواردة جمعًا حسنًا يحسن بطالب العلم أن يستفيد منها إذا أراد أن يخطب مثلًا خطبة عن عذاب القبر، فإن الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذه من ميزات هذا الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الذي خدم السنة خدمة عظيمة، وبالتالي خدم الإسلام والمسلمين.

من ميزاته رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه يجمع الروايات الصحيحة، ويؤلف بينها، ويوردها في سياق واحد، وهذا يمهد السبيل لطالب العلم للاستفادة من الحديث برواياته، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَعَ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وَمَا وَرَدَ تَفْسِيرُهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، أي في القبر، أي قبل يوم القيامة، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾، فلا يجيبون عن هذا السؤال، ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾، وقد فسر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية بالسؤال في القبر، كما هو عند البخاري ومسلم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَيَرَوْنَ تَرْكَ الْخُصُومَاتِ وَالْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ)، أي أن أهل السنة والجماعة يسلمون للقرآن والسنة، ولا يجادلون فيهما على سبيل الإنكار، والرد بالعقول المزعومة أو غيرها، بعض الناس والعياذ بالله إذا جاء حديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصح إسناده، بل ربما في الصحيحين أو عند البخاري أو عند مسلم قال: أنا عقلي لا يقبل هذا الحديث، ويجادل في الحديث، هذا يخالف طريقة أهل السنة والجماعة، ومنهج أهل السنة والجماعة، منهج أهل السنة والجماعة التسليم للقرآن تسليمًا مطلقًا، والتسليم لثابت السنة تسليمًا مطلقًا، ولا يجادلون أبدًا في كتاب الله وفي سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سبيل الإنكار أو على سبيل الرد لسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالمقصود بكونهم يرون ترك الخصومات والمراء في القرآن أي الخصومات التي على سبيل الإنكار وعلى سبيل التكذيب وعلى سبيل الرد، فالمؤمن شأنهم الخضوع للدليل والتسليم له، وكذلك أيضًا يرون ترك الخصومات والمراء في القرآن وغيره، وفي سائر الحق، إذا انتقل ذلك إلى الجدل الذي يقصد به نصرة القول لا نصرة الحق، فإن أهل السنة والجماعة إذا وصل الأمر إلى هذا الحال يعرضون، ولا يناقشون ولا يستمرون في النقاش، فإذا ظهر من النقاش أن المناقش إنما يُريد نصر قوله ولا يُريد نصر الحق فإنه لا يجادل ولا يخاض معه في النقاش، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة، ولذلك أهل السنة والجماعة كانوا لا يجادلون أهل الأهواء، لأنه يظهر من جدالهم أنهم لا يبتغون إلا نصرة أقوالهم، لا يبتغون الحق، فمثلًا أهل السنة والجماعة يجادلون أهل الأهواء إلا أن يلزموا بهذا، كما حصل مع الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في فتنة خلق القرآن.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (كَقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤] يَعْنِي: يُجَادِلِ فِيهَا تَكْذِيبًا بِهَا) وإنكارًا لها، فالذي يجادل في آيات الله إنكارًا لها وتكذيبًا لها ويجادل في ثابت سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنكارًا له وجحدًا له، فالحقيقة إنما هو يصنع صنيع الكفار الذي يجادلون في آيات الله تكذيبًا لها.

قال رحمه الله: (وَيُثْبِتُونَ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، من هنا يشرع المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في الكلام عن عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة، وبدأ بعقيدتهم في أفضلهم وهم الخلفاء الأربعة، هم خير الأمة بعد نبيها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وخير الأربعة أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد أجمع أهل السنة والجماعة على تقديمهما في الفضل وفي الخلافة، فأفضل الأمة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو أول خليفة بالإجماع، ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد أجمع على ذلك الصحابة كما هو ظاهر من حالهم جدًا، وقد قال أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبينا: أبو بكر"، ثم قال: "ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر: عمر".

هذا الأثر عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه أحمد، وقد قاله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على منبر الكوفة، ولذلك الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كان يقسم بالله عَزَّ وَجَلَّ فيقول: "والله العظيم قال علي هذا"

وهو عنه متواتر، لأنه قاله على المنبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، إذًا أهل السنة والجماعة مجمعون على تقديم أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخلافة والفضل، ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخلافة والفضل، ثم أجمع أهل السنة على تقديم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخلافة، ففي استحقاق الخلافة يجمع أهل السنة والجماعة على أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أحق بالخلافة من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأما في الفضل فقد اختلف أهل السنة في أيهما يُقدم؟ بمعنى أجمع أهل السنة والجماعة على أن أفضل الأمة بعد أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثم اختلفوا في أيهما المقدم: هل الثالث عثمان أو علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ وهذا الخلاف كان عند المتقدمين من أهل السنة، ثم استقر الأمر عند أهل السنة على تقديم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفضل، كان أكثر أهل السنة يقدمون عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفضل، وبعضهم يقدم عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفضل، ثم تُكر هذا الخلاف، وأجمع أهل السنة والجماعة على تقديم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفضل، كما قُدم في الخلافة، وهذا معنى قول الحافظ بن حجر: "إن هذا الخلاف كان قديمًا ثم ارتفع"، ولذلك قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيُثْبِتُونَ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاخْتِيَارِ الصَّحَابَةِ إِيَّاهُ، ثُمَّ خِلَافَةِ عُمَرَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِاسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ إِيَّاهُ، ثُمَّ خِلَافَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِاجْتِمَاعِ أَهْلِ الشُّورَىٰ وَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهَا عَنْ أَمْرِ عُمَرَ، ثُمَّ خِلَافَةُ عَلَىٰ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِبَيْعَةِ مِنْ بَائِعٍ مِنَ الْبَدْرِيِّينَ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَمَنْ تَبِعَهُمَا مِنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ مَعَ سَابَقَتْهُ وَفَضْلِهِ)، وقد عرفنا كل ما يتعلق بهذا.

قال رحمه الله: (وَيَقُولُونَ بِتَفْضِيلِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، لقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨])، يعتقد أهل السنة والجماعة فضل الصحابة الذين بايعوا تحت الشجرة بيعة الرضوان، وهم ألف وأربعمائة أو ألف وخمسمائة من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلهم من أهل الجنة والرضوان، كلهم قد رضي الله عنهم وكلهم من أهل الجنة، لا يدخلون النار أبدًا، كما قال النبي صلى الله عليه: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»، قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٠])، يعتقد أهل السنة والجماعة فضيلة المتقدمين من أصحاب

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المهاجرين والأنصار على المتأخرين منهم، مع إثبات الفضل لجميعهم، لكن المتقدم من الصحابة أفضل من المتأخر من الصحابة، ولذلك المتقدمون من الصحابة ممن بايعوا تحت الشجرة أفضل من المتأخرين من الصحابة ممن بايعوا تحت الشجرة مع ثبوت الرضوان والجنة للجميع، وهذا التفاضل يسميه أهل العلم تفاضل في الكمال، والتفاضل في الكمال لا يستلزم نقصًا، ولذلك القرآن بعضه أفضل من بعض، مع أنه كلام الله لأن هذا التفاضل تفاضل في الكمال، والتفاضل في الكمال لا يستلزم نقصًا.

كذلك مثلًا تفاضل الصحابة، تفاضل الصحابة لا يستلزم نقصًا، وإنما تفاضل في الكمال، وكلهم صحابة، قد رضي الله عنهم وهم عدول، وكذلك مثلًا تفاضل أهل الجنة في منازلهم فإنه تفاضل في الكمال، لا يستلزم نقصًا، **قال رحمه الله:** (وَمِنْ أَثْبَتَ اللهُ رِضَاهُ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُوجِبُ سُخْطَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ)، وقد أثبت الرضا للصحابة بإطلاق، ثم من بعد الصحابة يقاس بالصحابة، فمن تبع الصحابة بإحسان فإنه يدخل في الرضا، ولذلك قال الشيخ: (وَلَمْ يُوجِبْ ذَلِكَ لِلتَّابِعِين إِلَّا بِشَرْطِ الْإِحْسَان، فَمَنْ كَانَ مِنَ التَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَلَمْ يَأْتِ بِشَرْطِ الْإِحْسَانِ فَلَا مَدْخَلَ لَهُ فِي ذَلِكَ)، لا مدخل له في الرضا، ولذلك يا أخي إذا أردت أن تدخل في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ فألزم منهج السلف، ألزم ما كان عليه الصحابة.

فإن هذا اتباع لهم بإحسان، ومن تبع الصحابة بإحسان دخل في قول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾، قال: (وَمِنْ غَاظَهُ مَكَانُهُمْ مِنَ اللهِ)، يعني من غاظه مكان الصحابة من الله، وأن الله رضي عنهم، وأنهم عدول كلهم، (فَهُوَ مَخُوفٌ عَلَيْهِ مَا لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ)، ما هو؟ ما هو الذي لا شيء أعظم منه يخاف؟ الكفر، مقصوده: من غاظه فضل الصحابة فضلًا عن أن ينكر فضله، فضلًا عن أن يكفرهم فإنه يخشى عليه الكفر أو يكفر فعلًا، (لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩])، وهذا وجه الشاهد: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، (فَأَخْبَرَ أَنَّهُ جَعَلَهُمْ غَيْظًا لِلْكَافِرِين).

قال: (وَقَالُوا بِخِلَافَتِهِمْ)، قالوا: بصحة خلافة الأربعة الخلفاء رضوان الله عليهم، وأجمعوا على ذلك لأدلة، منها: قال: (لِقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [النور: ٥٥])، هذا الخطاب ليس للكفار، هذا الخطاب للمؤمنين مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خطاب للصحابة رضوان الله عليهم، قال الله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾، إذًا هم بعضهم، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، إذًا المراد هنا: وعد الله أفضلكم، وإلا فالصحابة قد آمنوا وعملوا الصالحات، فيكون المراد: وعد الله أفضلكم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَخَاطَبَ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنكُمْ﴾ مِنْ نَزَلَتْ الْآيَةُ وَهُوَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ دِينِهِ، فَقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥])،
فالاستخلاف كان وعدًا على التعيين لأفضل الصحابة، وأفضل الصحابة كما قلنا بالإجماع هؤلاء الأربعة بالإجماع، أفضل الصحابة هؤلاء الأربعة، وأفضل الأربعة أبو بكر رضي الله عنهم، ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم وقع الخلاف الذي ذكرناه ثم ارتفع، فاستدل أهل السنة والجماعة على صحة خلافة الأربعة بهذه الآية، وهذا يرشدك إلى عمق استدلال أهل السنة والجماعة بالأدلة النقلية، فإنهم مع تعظيمهم للأدلة النقلية عندهم دقة فهم للأدلة النقلية، بخلاف ما يسمهم به المخالفون له من أنهم إنما يتبعون الظواهر.

ومقصودهم بقوله: إنهم يتبعون الظواهر من غير فهم لمقصودها، وهذا خلاف الواقع من أهل السنة والجماعة، قال الشيخ: (فَمُكِّنَ الله بـ أَبِي بَكْرٍ الصديق وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ الدِّيْنَ)، <u>**انتبهوا لهذا الاستدلال:**</u>

<u>**أولًا:**</u> استدل بالآية أو استدل أهل السنة والجماعة بالآية على صحة خلافة الأربعة لفضلهم، والآية نص في استخلاف أفضلهم، ثم استدل بأثر خلافتهم على صحة خلافتهم الواقعة أن الموعود في الآية تحقق بخلافتهم، قال: (فَمُكِّنَ الله بـ أَبِي بَكْرٍ الصديق وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ)، هل ذكر عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ ما ذكر عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لماذا؟ لم يذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه لأن الفتنة العظيمة وقعت في زمنه، لا لنقص فيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا لنقص في خلافته، لكن هذا أثر

على تمكين الدين ووقوع الفتنة في زمنه أثر على تمكين الدين، لكن نحن نقول: ولعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن تمكين الدين مع وجود الفتنة كان في زمنه ظاهرًا بحمد الله.

فقال: (فَمُكِّنَ الله بـ أَبِي بَكْرٍ الصديق وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ الدِّيْن وَعَدَ الله) يعني الذي ذُكر في الآية، (آمِنِينَ يَغْزُون وَلَا يُغْزَوْنَ، وَيُخِيفُون الْعَدُوَّ وَلَا يُخِيفُهُمْ الْعَدُوّ)، وهكذا شأن من تمسك بالكتاب والسنة يلقي الله الرعب في قلوب أعدائه، ولذلك يا إخوة تجد طالب العلم الصغير من أهل السنة إذا لقي الكبير من أهل البدعة يرتعد أمامه، يهابه، يخافه، لأن هذه سنة الله، يجعل الله مهابة أهل الحق في قلوب أهل الهوى والبدعة والشرك، قال: (وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ)، هنا أيضًا يستدل المصنف على خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنها خلافة صحيحة، قال: (وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ لِقَوْم تَخَلَّفُوا عَنْ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْغَزْوَةِ الَّتِي نَدَبَهُمْ اللهُ لها)، أي في غزوة تبوك، (بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ رجعك اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ منْهمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ للْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجوا معي أَبَدًا ولَنْ تُقَاتلوا معي عَدُوًّا إِنَّكُمْ رضيتم بِالْقُعود أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مع الخَالفين (٨٣)﴾ [التوبة: ٨٣])، قال: (فَلَمَّا لَقُوا النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَهُ الإِذْنَ فِي الْخُرُوجِ لِلْغَزْوِ فَلَمَّا يَأْذَنْ لَهُمْ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥)﴾ [الفتح: ١٥]).

إذًا انتبهوا من هاتين الآيتين علمنا أن المخلفين لن يدعوهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الجهاد، ولن يقاتلوا معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما انتهى الاستدلال، قال: (وَقَالَ لَهُمْ: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ﴾ [الفتح: ١٦])، في الآيتين السابقتين أن المخلفين لن يدعوهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يقاتلوا معه عدوًا أبدًا، هنا يقول الله: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ﴾، فعُلم أن الذي يدعوهم ليس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، أصحاب بأس شديد وهم المرتدون، ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾، المرتدون يقاتلون على الإسلام فقط، إما أن يسلموا، وإما أن يقتلوا، فدل ذلك على أن ذلك في المرتدين، ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، قالوا: والذي دعا الناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قوم أولي بأس شديد هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه لقتال بني حنيفة من المرتدين.

قالوا: فدل ذلك على صحة خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعلى صحة دعوته الناس إلى الجهاد، لكن الحقيقة في هذا الاستدلال نظر من أي جهة؟ نعم لو كان الأمر كما ذكره الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ فهو استدلال وجيه قوي جدًا، لكن الإشكال أن المخلفين في الآية الأولى والثانية هم الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، والمعلوم أن غزوة تبوك في السنة التاسعة، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يدعو إلى قتال بعدها، أما في آخر آية: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾، فهم الذين تخلفوا عن الخروج للحديبية، فهؤلاء تخلفوا والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خروجه للحديبية ما خرج للقتال، وإنما خرج للعمرة، فهؤلاء المخلفون من الأعراب فاتهم فضل المبايعة تحت الشجرة.

فقيل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل لهم ستدعون، والداعي هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه بعد الحديبية دعا إلى فتح مكة، ودعا إلى قتال هوازن، وحاصر الطائف، فتكون الآية الثالثة في غير المخلفين في الآية الأولى والثانية، وهذا الصواب، ولكن انظروا عمق الاستدلال، انظروا كيف أن أهل السنة والجماعة عندهم عمق فهم للنصوص.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالَّذِينَ كَانُوا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْيَاءً خُوطِبُوا بِذَلِكَ لِمَا تَخَلَّفُوا عَنْهُ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَأَوْجَبَ لَهُمْ بِطَاعَتِهِمْ إِيَّاهُمْ الْأَجْرَ وَبِتَرْك طَاعَتُهُمْ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ إِيذَانًا مِنْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِخِلَافَتِهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَلَا جُعْلَ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِأَحَدٍ مِنْهُمْ)، بمعنى: أن الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: هذه الآيات دليل على صحة خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبالتالي على صحة خلافة عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، لم؟ لأنه إذا ثبتت صحة خلافة واحد منهم ثبتت صحة خلافة الآخرين، لأن خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت باستخلاف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد صحت خلافته، وخلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت بعمل أهل الشورى الذين عينهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت بمبايعة من بقي حيًا من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك **قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِذَا ثَبَتَتْ خِلَافَةُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ انْتَظَمَ مِنْهَا خِلَافَةُ الْأَرْبَعَةِ)**، وفق الله الجميع، وشرح صدور الجميع، وتقبل من الجميع.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَى وأَعْلَمُ
وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ

[المجلس الرابع]

الحَمْدُ للهِ حمدًا كَثِيْرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، الحَمْدُ للهِ حتىٰ يرضىٰ، وَالحَمْدُ للهِ عند الرضا، وَالحَمْدُ للهِ بعد الرضا، وَالحَمْدُ للهِ علىٰ كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النَّار، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الواحد القهار، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النبي المختار، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أظلم ليل أو أضاء نهار، ورضي الله عن آله وأصحابه الأطهار الأبرار.

أما بَعْد؛

فمعاشرة الإخوة نواصل شرحنا المختصر لهذا الكتاب الصغير في حجمه العظيم في محتواه ونفعه (اعتقاد أهل الحديث) لشيخ الشافعية الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ. وبالمناسبة فأنا أقول إن من الوسائل الطيبة لنشر عقيدة أهل السنة والجماعة أن يُبحث عن كتب الشافعية في العقيدة، وأن يُبحث عن أقوال الإمام الشافعي في العقيدة، وعن أقوال أئمة الشافعية في العقيدة، التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة وتُنشر، جميل جدًّا أن يقيم طالب العلم درسًا في المسجد مثلًا عن كلمات أئمة الشافعية في عقيدة المسلم، ويبدأ بالإمام الشَّافِعِيّ، وينقل.. وقد جُمع ذلك في كتاب مطبوع في عقيدة الإمام الشَّافِعِيّ، وكذلك أئمة الشافعية، ومثل يعني مثلًا الإسماعيلي والأئمة الذين ذكرناهم في المقدمة، ويُنقل ذلك للناس، فإن هذا أدعىٰ لقبوله، وهو مناسب جدًا.

نواصل من حيث وقفنا، حيث قال الشيخ الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (ويرون الصلاة – الجمعة وغيرها– خلف كل إمام مسلم برا كان أو فاجرا) من هنا يبدأ الإسماعيلي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في بيان منهج أهل السنة والجماعة في معاملة ولاة الأمور، وهذه المسائل يذكرها أهل السنة والجماعة في العقيدة لأنها فارقة بين أهل السنة وأهل البدع. من الأمور التي تميز أهل السنة عن أهل البدع معاملة ولاة الأمر؛ أهل السنة والجماعة يعاملون ولاة الأمر بما جاء به الشرع، وأهل البدع يعاملونهم بالأهواء أو الأطماع الشخصية، ومن هنا تجد أن كتب أهل السنة والجماعة تذكر هذه المسائل في كتب العقيدة، فأهل السنة والجماعة يرون انعقاد الإمامة لولي الأمر المسلم، إن انعقد له الأمر بالطرق المشروعة أو بغيرها، كأن يتغلب بالقوة، فتم له الأمر وسلم له أهل الحل

والعقد برًا كان أو فاجرًا عدلًا كان أو ظالمًا فإن ولايته تقوم وحقوقه تنعقد، مع نُصحهم لولي الأمر بالطريق المشروع، إن رأوا منه فجورًا أو رأوا منه ظلمًا، مع حفظ هيبته التي لا يتحقق مقصود الشارع من اعتبار إمامته إلا بها، ويرون أن المصالح الدينية والمصالح العامة تُناط بولاة الأمر، ويُقدمون فيها، ولا يمنع ذلك فجورهم وظلمهم، فلا تُعطل المصالح بجوره وظلمه، ولا يمنع جوره وظلمه حقوقه الشرعية.

ومن حقوقه كما قلنا النفح له بالطرق المشروعة، فتُصلىٰ الجمعة والجماعة وراءهم، ووراء من يعينونه للإمامة، وترك ذلك خلفهم بدعة؛ ترك الصلاة خلف ولي الأمر لما يُرىٰ فيه من فجور أو ظلم إن كان يصلي بالناس بدعة محدثة، وترك الجمعة والجماعة خلف إمام لبدعته غير المكفرة بدعة محدثة. وقد كان الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم يصلون خلف من ظهر فجوره من الأئمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وقد كان الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم يصلون خلف من يعرفون فجوره، كما صلىٰ عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة، وقد كان يشرب الخمر، وصلىٰ مرةً الصبح أربعًا) يعني يُذكر أنه صلىٰ بهم الصبح أربعًا، فلما قالوا له: (صليت بنا أربعًا) قَالَ: (تريدون أزيدكم!)، وجلده عثمان بن عفان علىٰ ذلك. قَالَ: (وكان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف، ومعروف ظلمه، وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد وكان متهمًا بالإلحاد وداعيًا إلىٰ الضلال) كان متهمًا! يعني ما كان ذلك ثابتًا عليه، لكن كان متهمًا بذلك.

الشاهد أن أئمة أهل السنة والجماعة من المتقدمين كانوا يرون الصلاة خلف الإمام برًا كان أو فاجرًا، وكانوا يفعلون ذلك، ويرون أن ترك ذلك بدعة، وهكذا سار أهل السنة والجماعة علىٰ هذا الأمر.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (فإن الله عز وجل فرض الجمعة وأمر بإتيانها) في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ﴾ [الجمعة: ٩]، (فرضًا مُطْلَقًا، مع علمه تَعَالَىٰ بأن القائمين) يعني الذين يؤمون في صلاة الجمعة (يكون منهم الفاجر والفاسق، فلم يستثن وقتًا دون وقت، بل كان ذلك أمرًا مُطْلَقًا، ولا

أمرًا بالنداء للجمعة دون أمر) فدل ذلك علىٰ أنه حيث نُودي للجمعة وكان الإمام مسلمًا فإنه يُصلىٰ خلفه ولو كان فيه فجور أو فسق.

قَالَ: (ويرون جهاد الكفار معهم، وإن كانوا جورة) الجهاد يا إخوة منوط بولاة الأمر، فشرط كون الجهاد صحيحًا أن يكون تحت راية ولي الأمر، فهم الذين يُقاتل من ورائهم ويُقاتل معهم، ولا يُفتات عليهم في ذلك بحجة فجورهم. والعلماء إذا رأوا مشروعية الجهاد يحثون ولي الأمر عليه، ولا يفتاتون عليه فلا يعلنون الجهاد دونه، ولا يأمرون أحدًا بالذهاب إليه دونه، والجهاد أمره عظيم جدًّا، وتشتعل عنده العواطف، فلا بد من ضبطه. ولذلك يا إخوة ترون في كتب الفقه أن الفقهاء يؤخرون كتاب الجهاد، حتىٰ لا يتكلم في الجهاد إلا فقيه؛ لأنه إذا تكلم فيه غير الفقيه أفسد فسادًا عظيمًا، وانقلب الجهاد إلىٰ فساد، ولا يمكن أن يجتمع الجهاد والفساد. وهذا أمر عظيم ينبغي أن يدركه طلاب العلم، فإنا نرىٰ طلاب العلم يخوضون في مثل مسائل الجهاد وغيرها مما ليس لهم، وإنما هو من الناحية النظر الشرعي للعلماء الأكابر، ومن ناحية العمل لولي الأمر المسلم، لا يُفتات عليه في هٰذَا.

وكلام غير أهل الفقه والعلم في الجهاد إما أن يقود إلىٰ تعطيل الجهاد وإما أن يقود إلىٰ التهور الذي يقود الأُمَّة إلىٰ أعظم الفساد. الجهاد إذا لم يظهر له ثمرة تغلب المفاسد التي تقع فيه فإنه لا يشرع، وإذا كان الجهاد سيجر فسادًا معلومًا علىٰ المسلمين فإنه لا يجوز ولا يكون جهادًا. ولذلك يا إخوة الله عَزَّ وَجَلَّ أباح للمسلم أن يفر أمام ثلاثة فأكثر من الكفار؛ لأنه إذا قابل المسلم ثلاثة فأكثر من الكفار فإنه يغلب علىٰ ظن أن يُقتل، فأوجب الله علىٰ المسلم أن يثبت أمام اثنين، لا يجوز له أن يفر أمامهما لأنه يغلب علىٰ الظن أنه يستطيع أن يتغلب عليهما، أما إذا كانوا ثلاثة فأكثر فإن الله أباح للمسلم أن يفر من أمام الثلاثة فأكثر، وذلك لهذه القضية العظيمة، وهي أن الجهاد إذا لم تظهر مصلحته بل ظهر أنه تترتب عليه مفسدة أعظم من مفسدة تركه فإنه لا يكون جهادًا، ولا يكون يعني مشروعًا. ومن لا يدركون ذلك قادوا الأُمَّة إلىٰ التهور، حتىٰ أن شيخنا الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ كان يقول (ماذا يريد هؤلاء من الأُمَّة؟ أيريدون أن يقاتل أقوام بالسكاكين والخناجر والسيوف أمام دبابات وقنابل وغير ذلك!) الله عَزَّ وَجَلَّ ما أوجب الجهاد إلا بإعداد ما

يُستطاع من القوة، فهذا أمر عظيم ينبغي فقهه، وأن لا يتجارىٰ الناس أمام العواطف، وتُجر الأُمَّة إلىٰ ما يضرها، يُقتل من الكفار عشرة فيُقتل من المسلمين عشرة آلاف، أي جهاد هٰذَا! هذا ليس من الجهاد. ومع ذلك إذا وقع البلاء علىٰ المسلمين وإن جَرَّ إليه من جر بخطأ وتهور فإنا ندعو للمسلمين، ونحب أن ينصرهم الله، ونستفرغ جهدنا في الدعاء لهم، هذا منهج أهل السنة وَالْجَمَاعَة، منهج علم وعدل، ورفق وإحسان.

قَالَ: (ويرون الدعاء لهم بالصلاح والعطف إلىٰ العدل) من حقوق ولاة الأمر علىٰ الرعية عند أهل السنة والجماعة دعوتهم إلىٰ الصلاح والإصلاح سرًا، والدعاء لهم بكل خير، ومنه الإصلاح والصلاح والعدل، وهذا من الخير في الأُمَّة، لا تزال الأمة بخير ما كان الراعي يدعو للرعية والرعية تدعو للراعي، قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خِيارُ أئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ ويُحِبُّونكُمْ، ويُصَلُّونَ علَيْكُم وتُصَلُّونَ عليهم» معنىٰ تصلون عليهم هنا تدعون لهم ويدعون لكم. وقد قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ: (لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها في السلطان)، فقيل له: (يا أبا علي فسر لنا هٰذَا) يعني لماذا لا تجعلها لنفسك؟ لماذا تجعلها للسلطان؟ لأنه يقول: (لو علمت أن لي دعوة واحدة يجيبها الله لجعلتها في السلطان) ما جعلتها في نفسي، فقالوا له: (يا أبا علي فسر لنا هٰذَا)، فَقَالَ: (إذا جعلتها في نفسي لم تعدُني) يعني كانت قاصرة عَلَيَّ، (وإذا جعلتها في السلطان فصلح بصلاحه العباد والبلاد). وقال السلف: (إذا رأيت الرجل يدعو للسلطان فاعلم أنه صاحب سنة، وإذا رأيته يدعو علىٰ السلطان فاعلم أنه صاحب هوىٰ) لأن أهل السنة لا يريدون السلطة، وإنما يريدون صلاح السلطان، ولذلك يدعون له. أما أهل البدع والأهواء فإنهم يريدون الكرسي، لا يريدون صلاح الراعي، ولذلك قال قائل منهم: (لو صلح فلان لما رضينا به) لأنهم ما هدفهم صلاح الراعي، وإنما هدفهم أن يصلوا إلىٰ الكراسي.

ولذلك يا إخوة من لطائف القول إن أهل السنة والجماعة يريدون إيصال الناس إلىٰ الحق وإيصال الحق إلىٰ الناس، وأهل الأهواء يريدون الوصول إلىٰ الكراسي، إما إلىٰ كراسي القلوب لحصول الشعبية وكثرة الأتباع، وإما إلىٰ كراسي الحكم، وهذا أمر فارق بين أهل السنة وغيرهم من أهل البدع.

قَالَ: (ولا يرون الخروج بالسيف عليهم) أجمع أهل السنة والجماعة علىٰ أن الخروج علىٰ ولي الأمر المسلم باللسان أو السنان محرم وكبيرة من كبائر الذنوب، وأن المشروع جهاد الخوارج باللسان كما يفعله علماؤنا -علماء أهل السنة وَالْجَمَاعَة- وبالسنان، والأدلة علىٰ هذا كثيرة جدًّا مشهورة.

قَالَ: (ولا قتال الفتنة) يعني أن أهل السنة والجماعة يرون عدم القتال في الفتنة، أكثر أهل السنة والجماعة علىٰ اعتزال الفتنة وعدم القتال فيها، كما فعل أكثر الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم، فلا يقاتِل المسلم في الفتنة، بل يصبر ويُمسك نفسه. والقتال في الفتنة يا إخوة ينبغي أن يُفهم أنه يعني أن تقتتل طائفتان من المسلمين لكل منهما تأويل له وجه، كلٌّ يريد نصرة الحق والدين، كما وقع من الصحابة في صِفين، فهنا الذي عليه أكثر أهل السنة والجماعة أن الفتنة تُعتزل. وذلك يا إخوة لو وقع خلاف بين شيخين فاضلين كل منهما له دليل فيما يقوله، وكل يظهر منه أنه يريد نصرة الدين ويريد نصرة الحق، لا ينبغي لطالب العلم أن يدخل رأسه بينهما، بل يعتزل ذلك، ويدع الأمر لهما وإلىٰ العلماء يُعالج، فإما أن يُوصل إلىٰ اتفاق بحسب الدليل، وإما أن نعلم أن أحدهما مصيب له أجران والآخر مخطئ وله أجر واحد.

قَالَ: (ويرون قتال الفئة الباغية مع الإمام العادل، إذا كان ووجد علىٰ شرطهم في ذلك) الفئة الباغية يا إخوة قوم من المسلمين يخرجون علىٰ الإمام ولهم قوة وشوكة ومنعة بتأويل سائغ مخطئين فيه؛ هؤلاء يا إخوة قوم من المُسْلِمِيْنَ، البغاة قوم من المُسْلِمِيْنَ، لم يختلف أحد في كونهم من المُسْلِمِيْنَ، يخرجون علىٰ ولي الأمر، ولهم قوة ومنعة وشوكة، ولهم تأويل، وهم يكونون مخطئين فيه. ومن الفوارق بين الخوارج والبغاة أن الخوارج اختُلف في تكفيرهم، أما البغاة فلم يقل بكفرهم أحد. ومن الفوارق أَيْضًا ان قتال الخوارج يُبتدأ به، أما قتال البغاة فيكون بعد نصحهم، وبعد مراسلتهم، وبعد كشف أنهم مخطئون في تأويلهم، فإن أبوا وأصروا وعاندوا، فإنهم يُقاتلون، وقد أجمع الصحاب رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم علىٰ قتال الفئة الباغية، ويجب قتالهم مع الإِمَام، وللفقهاء بيان وتفصيل في هذا في كتب الفقه يضيق المقام عن ذكره.

قَالَ: (ويرون الدار دار الإسلام لا دار الكفر كما رأته المعتزلة، ما دام النداء بالصلاة والإقامة ظاهرين وأهلها ممكنين منها آمنين) هذه مسألة مهمة جدًا؛ دار الإسلام هي التي تكون بأحد أمرين:

اَلْأَوَّلُ: أن يكون ولي أمرها مسلمًا مع كثرة الْمُسْلِمِيْنَ، فإذا كان ولي أمر الدولة مسلمًا -أيًا كان حاله- مع كثرة المسلمين فهي دار إسلام.

الثَّانِي: أن تكون شعائر الإسلام فيها ظاهرة مع ظهور أهل الإسلام، فينادىٰ بالأذان ونحو ذلك مع ظهور أهل الإسلام.

إذا وُجد أحد الأمرين فالدار دار إسلام. وأما دار الكفر فهي التي يكون ولي أمرها كافرًا مع عدم ظهور الْمُسْلِمِيْنَ. ومما يترتب علىٰ هذا مسألة الهجرة، فإن الهجرة تكون من دار الكفر إلىٰ دار الإسلام لا بالعكس، لا تكون الهجرة من دار الإسلام إلىٰ دار الكفر، ما تكون الهجرة من اندونيسيا إلىٰ أمريكا، ما تكون الهجرة من اندونيسيا إلىٰ بريطانيا، وإنما الهجرة تكون من ديار الكفر إلىٰ ديار الإسلام، والفقهاء قد فصلوا في حكم الهجرة، وذكروا تفصيلات في هٰذَا. ليس المقصود هنا الكلام عن ذلك، لكن أهل السنة والجماعة يرون أنه إذا وُجد في الدار أن ولي أمرها مسلم وأن المسلمين ظاهرون يرون هذا دار إسلام، أو إذا كانت شعائر الدين ظاهرة وكان لأهل الإسلام ظهور فإنهم يرون أن الدار دار إسلام لها أحكام دار الإسلام.

قال رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (ويرون أن أحدا لا تخلص له الجنة، وإن عمل أي عمل، إلا بفضل الله ورحمته) يرون أن الأعمال الصالحة سبب لدخول الجَنَّة، لكن الجنة لا تُدخل إلا بفضل الله ورحمته. لا يستحق الإنسان الجنة بعمله، ولكن الله من فضله ورحمته جعل الأعمال الصالحة سببًا لدخول الجَنَّة، وإلا والله لو عملنا ليلًا ونهارًا منذ ولدنا إلىٰ أن نموت ما كان ذلك موجبًا لنا أن ندخل الجنة إلا بفضل الله ورحمته، فإنا ما اهتدينا إلا بنعمة الله، وما عملنا إلا بنعمة الله، ونعيش في نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ولكن يدخل الموحدون الصالحون الجنة بفضل الله ورحمته.

قَالَ: (فإن عمله للخير وتناوله الطاعات إنما عن فضل الله الذي لو لم يتفضل به عليه لم يكن لأحد علىٰ الله حجة ولا عذر) -كَمَا تَقَدَّمَ-. (كما قال الله: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا

مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} [النور: ٢١] {وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ٨٣] وقال: {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ} [البقرة: ١٠٥]) وقد تقدم الكلام علىٰ هداية الله لمن يشاء وإضلال الله لمن يشاء، وبينا معنىٰ ذلك بحمد الله. والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَنْ يُدْخِلَ أحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ. قالوا: ولا أنْتَ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: لا، ولا أنا، إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بفَضْلٍ ورَحْمَةٍ»، هذا عند البُخَارِيّ. وعند مسلم؛ قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ أحَدًا عَمَلُهُ قالوا: ولا أنْتَ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: ولا أنا، إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ منه برَحْمَةٍ». هذه عقيدة أهل السنة وَالْجَمَاعَة، فيعتقدون أن دخول الجنة بفضل الله ورحمته، والله جعل التوحيد سببًا لدخول الجَنَّة، وجعل الأعمال الصالحة سببًا لدخول الجَنَّة.

قَالَ: (ويقولون إن الله عز وجل أجل لكل حي مخلوق أجلا هو بالغه فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وإن مات أو قتل فهو عند انتهاء أجله المسمىٰ له) المقصود أن القتل لا يعجل أجل المقتول، بل هو أجله وسببه القتل، ولذلك بعض الناس إذا قُتل شخص يقولون يعني مات قبل أجله؛ هذا غير صحيح! هذا أجله، وكان القتل سبب موته، سبب مفارقته الحياة، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، ولذلك المؤمن الذي يؤمن بهذا يكون شجاعًا ولو دُعي إلىٰ الجهاد المشروع فإنه ينفر لأنه يعلم أنه إذا جاء أجله سيفارق الدنيا، لن يتأخر أبدًا ولن يتقدم، فأن يموت شهيدًا خيرٌ له من غيره. ولذلك يا إخوة المؤمن لا يرده خوف الموت عن خير؛ لأنه يعلم أنه إذا حضر أجله فإنه سيفارق هذه الدنيا. فإن قال قائل: فما تقولون بما ورد من أن من يصل رحمه يُنسأ له في أجله؟ قُلنا هذا بالنسبة لما في أيدي الملائكة، فإنه يكون عند الملك أن فلانًا إن وصل رحمه مثلًا يكون عمره ٦٠ سنة، وإن لم يصل رحمه يكون عمره ٥٠ سنة، فإذا رأىٰ الملك أنه يصل رحمه يعلم أن أجله يكون إلىٰ ٦٠ سنة فيُنسأ له في أجله بالنسبة لما في أيدي الملائكة، أما عند الله فأجله واحد معلوم.

قَالَ: (وإن الله تَعَالَىٰ) أي ويقولون (وإن الله تعالىٰ يرزق كل حي مخلوق) فالله هو الرزاق، يرزق كل حي مخلوق، ولا رازق غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ورزقه بالنسبة لقِوام الحياة نوعان: رزق

غذاء، ورزق فضلٍ. أما رزق الغذاء فهو ما تقوم به الحياة، أي الذي لو لم يُرزقه الإنسان لمات، وهذا الرزق قد يكون حلالًا وقد يكون حرامًا، والمؤمن يتغيا الحلال، والكافر لا يبالي من أين يأخذ هذا الرزق. إذًا كله رزق الله، والمؤمن يتغيّا الحلال. والنوع الثاني رزق الفضل أو رزق الزينة، وهو ما يزيد علىٰ قوام الحياة، كون الإنسان تكون عنده سيارة، كون الإنسان يكون عنده بيت فيه سعة أكثر من غيره، يعني هذا من رزق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو رزق فضل. والرزق أعم من هٰذَا، فإن الأخلاق رزق، وإن العلم رزق، والرزاق هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الشيخ: (وإن الله تعالىٰ يرزق كل حي مخلوق رزق الغذاء الذي به قوام الحياة، وهو يضمنه الله لمن أبقاه من خلقه، وهو الذي رزقه من حلال أو من حرام، وكذلك رزق الزينة الفاضل عما يحيا به).

قَالَ: (ويؤمنون بأن الله تعالىٰ خلق الشياطين توسوس للآدميين ويخدعونهم ويغرونهم، وأن الشيطان يتخبط الإنسان) يؤمنون بأن الله خلق ملائكة لا تعصيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أبدًا -كَمَا تَقَدَّمَ-، وخلق البشر لعبادته، فمنهم طائع ومنهم عاصٍ، وخلق الشياطين لحكمة عظيمة، والشياطين لا يطيعون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويفتن الله بهم البشر ليتبيّن الصادق من الكاذب، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١]، فإبليس هذا هو أصل الشياطين. وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ﴾ [فاطر: ٦] أي جنس الشيطان ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]. وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، والغرور هو الشيطان الذي يغر الناس ويزين لهم الشر.

(وأن الشيطان يتخبط الإنسان) كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقول بعضهم إن هذا يعني لا يُراد به في الدنيا قول غير صحيح، إذ كيف يعرف الإنسان شيئًا لا يعلمه، وإنما يكون يوم القيامة مثلًا، هذه الآية دليل علىٰ أن الصرع الذي يصيب الإنسان قد يكون بسبب مس الشيطان، قد يكون بسبب دخول الشيطان فيه، وقد يكون بأسباب عضوية لا ننفي هذا ولا ننفي هٰذَا. بعض الناس ينكرون أن يكون الصرع بسبب دخول الشيطان في جسم الإنسان، وهذا غلط. وبعض الناس ينكرون أن يكون

الصرع بسبب أشياء عضوية تتعلق بالمخ، وهذا أيضًا غلط، فأهل السنة والجماعة يثبتون تخبط الإنسان بدخول الشيطان فيه، ولا ينكرون أن الصرع قد تكون له أسباب. وقد جاء أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ قيل له إن قومًا يزعمون أن الجني لا يدخل في بدن الإنسان، فقال رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (أي بُنَي يكذبون، هو ذا يتكلم علىٰ لسانه) وكان الإمام أحمد تهابه الشياطين، وإذا قرأ علىٰ أحدٍ فر الشيطان الذي في جسده، وقد أُرسل إليه يومًا أن أحدًا تلبس به الشيطان فأرسل إليه نعله، فلما رأىٰ الشيطان نعل الإمام أحمد فر وخرج من جسده، وهذا الذي أريد تقريره وتكريره، أن أهل السنة والجماعة عندهم قوة، فلذلك يا إخوة لا ينبغي أن نتخاذل أو نجبن، الله جعل لأهل السنة والجماعة قوة عظيمة بحمد الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولا شك يا إخوة؛ أخبرنا شيخنا الشيخ عبدالصمد كاتب رَحِمَهُ اللهُ أن رجلًا في الهند أصابه مس فصار يتكلم سبع لغات، وينظم الشعر، فبعد فترة قرأ عليه شيخ حتىٰ خرج الجني فصار، لا يتكلم من تلك اللغات إلا لغته، ولا يستطيع نظم الشعر، وقد رأينا بأنفسنا رجلًا يتكلم بصوت امرأة، ورأينا امرأة تتكلم بصوت رجل لتلبس الشيطان.

قَالَ: (وأن في الدنيا سحرا وسحرة، وأن السحر واستعماله كفر من فاعله، معتقدا له، نافعا ضارا بغير إذن الله) نعم يا إخوة! أهل السنة والجماعة يعتقدون أن السحر موجود حقيقة، وأن له تأثيرًا حقيقيًا بإذن الله الكوني القدري. ومن ذلك أنه يُفرق به بين المرء وزوجه بإذن الله الكوني القدري، ويُسمىٰ سحر الصرف، ويُجمع به بين رجل وامرأة بإذن الله الكوني القدري ويسمىٰ سحر العطف. وسحر الصرف والعطف -والسحر عمومًا- قد يكون بعقاقير وأدوية تُعمل دون الاستعانة بالشياطين، وهذا محرم وكبيرة من كبائر الذنوب. وقد يكون السحر برقىٰ وعزائم يستعان بها بالشياطين، وهذا شرك أكبر. والتولة الواردة في الحديث وأنها شرك هي سحر الصرف والعطف بالتعاويذ والعزائم والرقىٰ التي يُستعان فيها بالشياطين. والسحر بالاستعانة بالشياطين أو باعتقاد أنه يضر أو ينفع بنفسه من دون الله أو مع اعتقاد حله، انتبهوا! ثلاث حالات:

⇐ إذا كان السحر باستعمال الشياطين.

⇐ إذا كان باعتقاد أنه حلال.

⇐ إذا كان باعتقاد أنه يضر أو ينفع بنفسه من دون الله عَزَّ وَجَلَّ.

-- ((@ كلمة غير مفهومة- ٣٨:٥٨)) --ذلك اعتقاده أن الساحر يعلم الغيب، أو أنه يضر وينفع من دون الله، أو اقترن به التقرب إلىٰ الجن كأن يقدم شيئًا للجن؛ فهو كفر أكبر مخرج من ملة الإسلام.

قَالَ: (ويرون مجانبة البدعة والآثام، والفخر، والتكبر، والعجب، والخيانة، والدغل، والسعاية) أهل السنة والجماعة يرون مجانبة المآثم كلها، ومجانبة أهلها، ورأس المآثم الشرك الأكبر، ثم الشرك الأصغر، ثم البدعة، ثم كبائر الذنوب. كما أن أهل السنة والجماعة يرون مجانبة الأخلاق السَّيِّئة، ويكون ذلك كله بلزوم التوحيد وَالسُّنَّة، وبصون الأسماع عن كلام أهل الباطل.

كيف يجانب الإنسان الآثام كلها؟

الأمر اَلْأَوَّلُ: أن يلزم الكتاب والسنة بفهم سلف الأُمَّة.

الأمر الثَّانِي: -- ((@ كلمة غير مفهومة- ٤٠:٤٣)) -

خشية أن يقع شيء في قلبه فيزل.

قَالَ: (والفخر) أي يرون مجانبة الفخر، والفخر هو التعالي علىٰ الناس بسبب دنيوي، كالنسب مثلًا، فيفخر الإنسان علىٰ الناس بنسبه، يتعالىٰ علىٰ الناس بنسبه. والكبر نوعان:

اَلْأَوَّلُ: رد الحق وانتقاصه، يا إخوة كل راد للحق متنقص له متكبر، الذي بان أنه حق متنقص له متكبر.

الثَّانِي: تنقص الناس واحتقارهم، وعدم رؤيتهم شيئًا.

والعجب أن يعجب الإنسان بما عنده، أن يعجب بعمله، أن يعجب بعلمه، وهذا يؤدي إلىٰ أحد أمرين:

⇐ إما أن يؤدي إلىٰ التقصير؛ لأنه يرىٰ أنه قد وصل -كما يقولون-.

⇐ وإما أن يؤدي إلىٰ الكبر والتعالي علىٰ الناس.

والخيانة هي الغش وعدم أداء الأمانة، فالمعلم الذي لا يدرس الطلاب تدريسًا علىٰ وجه صحيح هو خائن، والإمام الذي لا يقوم بالإمامة علىٰ وجه صحيح هو خائن، والذي يغش الناس هو خائن، وأعظمهم الذي يغش الناس في دينهم.

والدغل هو الافساد والفساد، يرون مجانبة الفساد والإفساد. والاغتيال هو القتل علىٰ حين غرة.

والسعاية يا إخوة هي السعي بالفساد، كَالنَّمِيْمَةِ.

قَالَ: (ويرون كف الأذىٰ وترك الغيبة) أهل السنة يرون التحلي بالأخلاق الحسنة وكف الأذىٰ. ومن أعظم الأخلاق وأسماها أن يحرص الإنسان علىٰ أن يسلم المسلمون من لسانه ويده، فهذا أفضل الإسلام كما أخبر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجتهد الإنسان في أن يكف أذاه عن الناس، وأن يجتنب الغيبة، والغيبة ذكرك أخاك بما يكره في غيبته، بما كان فيه، فإن كان ذكرك أخاك في غيبته بما يسوؤه مما ليس فيه فهو غيبة وبهتان، وإن كان ذكرك أخاك بما يسوؤه وهو حاضر فهذا شتم وسب، وكلها محرمة، وكلها من كبائر الذنوب.

قَالَ: (إلا لمن أظهر بدعة وهو يدعو إليها، فالقول فيه ليس بغيبة عندهم) من أظهر بدعة يدعو إليها فإنه لا غيبة له، بل الكلام فيه جهاد، ولكن بشروطه، والنظر إلىٰ آثاره، فإذا كان الكلام فيه يؤدي إلىٰ عكس المقصود؛ لأن المقصود نصرة الدين وكشف الحق للناس، فإذا كان الكلام فيه في وقت ما سيؤدي إلىٰ عكس المقصود، فيؤدي إلىٰ أن ينفر الناس من الحق الذي يقوله هذا المتكلم، وإلىٰ أن يُعتقد فيه أنه علىٰ ضلال، فإنه يحرص علىٰ أن يعلم الناس ويبين للناس كما سيأتينا في مسألة الجاهلين.

قَالَ: (ويرون تعلم العلم وطلبه من مظانه، والجد في تعلم القرآن وعلومه وتفسيره، وسماع سنن الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجمعها والتفقه فيها، وطلب آثار الصحابة) من أعظم ما يميز أهل السنة والجماعة العناية بالعلم النافع، تعلمًا وتعليمًا، وأن يكون تعلم العلم من أهله، من أهل السُّنَّة، فهم لا يخبطون في تعلم العلم، ويتعلمون عند كل أحد، أبدًا، وإنما يدركون أن هذا العلم

دين، فلا يأخذون العلم إلا عن أهل السُّنَّة. يحرصون علىٰ تعلم القرآن وتعليمه وعلىٰ تفسيره، وعلىٰ التفقه في دين الله، وعلىٰ تعلم العقيدة، وعلىٰ تعلم السُّنَّة، وكل ذلك من الخير.

قَالَ: (والكف عن الوقيعة فيهم، وتأول القبيح عليهم، ويكلونهم فيما جرىٰ بينهم علىٰ التأويل إلىٰ الله عزّ وجل) أي أن أهل السنة والجماعة يكفون عما شجر بين الصَّحَابَة، وما شجر بين الصحابة يا إخوة إما أنه شجر بينهم وإما أنه شجر منهم. فما شجر بينهم هو ما وقع بينهم من الفتن، فأهل السنة والجماعة يكفون ألستهم مع اعتقادهم أن الصحابة ما فعلوا ذلك طمعًا في الدنيا وإنما كلٌّ اجتهاد في طلب الحق ونصرة الدين، ومنهم مصيب له أجران، ومخطئ له أجر واحد. ويمسكون ألستهم عن الخوض في ذلك، مع محبتهم لجميع صحابة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. مع علمهم أن كَثِيْرًا مما يُنسب إلىٰ الصحابة من الفتن كذب، دسه أهل البدع، حتىٰ في بعض كتب أهل السُّنَّة. وأما ما شجر منهم كبعض الذنوب التي وقعت من بعضهم فإن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن ذلك لا يسقط صحبتهم، ولا يجرح عدالتهم، وأن ما وقع منهم، منهم من تاب منه توبة نصوحًا، لو وُزعت علىٰ أهل الدنيا لكفتهم. ومنهم ما كُفر ذنبه بالمكفرات، فهم أولىٰ الناس بمكفرات الذنوب.

قَالَ: (مع لزوم الجماعة) أهل السنة والجماعة أهل جماعة، يلزمونها ويلزمون بها، وباختصار شديد الجماعة جماعتان:

⇐ جماعة الدين، وهي جماعة واحدة وليست جماعات، رابطها لزوم ما كان عليه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصَّحَابَة، هذه هي جماعة الدين، هي جماعة واحدة في السعودية، في اندونيسيا، في ماليزيا، في أمريكا، هي جماعة واحدة.

⇐ والثانية جماعة الأبدان، وهي الأجساد التي يجمعها ولي أمر مسلم، وهذه الأصل فيها أن تكون واحدة، لكن عند تفرق البلدان وانقسام البلدان فقد أجمع أهل السنة علىٰ أن لكل بلد ولي أمره الذي يجب أن يطاع في غير معصية الله ولهم جماعة في بلدهم، فأهل اندونيسيا من المسلمين جماعة، وأهل السعودية جماعة، كلٌّ تحت ولي أمره.

قَالَ: (والتعفف في المأكل والمشرب والملبس) هذا يا إخوة من أخلاق أهل السنة والجماعة ومما يُوصىٰ به، أن يتعفّف الإنسان في مأكله ومشربه، ما معنىٰ ذلك؟ أن يحرص علىٰ الحلال في مأكله ومشربه وملبسه، فإن المعلوم أن الأشياء تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام: حلال بين، وحرام بين، ومشتبهات؛ لا يعلمهن كثير من الناس، ومن وقع في الشبهات أوشك أن يقع في الحرام، فأهل السنة والجماعة يتواصون ويحرصون علىٰ الاقتصار علىٰ الحلال. وفي زماننا هذا نقول إن من لم يأخذ نفسه بالورع يوشك أن يقع، فالذي لا يأخذ نفسه بالورع الأسباب كثيرة، يوشك أن يقع في الحرام، ما أحوجنا إلىٰ شدة الحزم في زماننا هٰذَا! وقل من يسلم في زماننا هٰذَا! فعلينا أن نجاهد أنفسنا.

قَالَ: (والسعي في عمل الخير) أهل السنة والجماعة يتواصون ويحرصون علىٰ السعي في عمل الخير وإيصال الخير للغير، متمسكين بقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّىٰ يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

قَالَ: (والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) هذا من سعيهم في الخير، أنهم يأمرون بالمعروف بمعروف، وينهون عن المنكر بغير منكر، فيأمرون بالمعروف بالأسلوب الشرعي إذا تبين أنه معروف، وينهون عن المنكر بالأسلوب الشرعي إذا تبين أنه منكر، ولم يترتب علىٰ إنكاره منكر أعظم منه، وكذلك يعني إذا رأىٰ الإنسان أنه سينتقل الناس إلىٰ منكر يساويه فإن الأصل أن يُترك ذلك؛ لأن الانتقال إلىٰ منكر جديد يكون التمسك به أكثر من المنكر القديم.

قَالَ: (والإعراض عن الجاهلين حتىٰ يعلموهم ويبينوا لهم الحق، ثم الإنكار والعقوبة من بعد البيان وإقامة العذر بينهم ومنهم) مِن مزايا أهل السنة والجماعة الإعراض عن الجاهلين، وعدم مشاركتهم في جهلهم، فلا يشاركون الشتامين شتمهم، ولا أهل اللغو لغوهم، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]. ولا يزجون بأنفسهم فيما يفعله الناس مما هو مخالف للشرع، ومع إعراضهم يسعون في التعليم وبيان الحق وفق الأصول الشرعية، بغير غلظة ولا إنكار، فإذا أبىٰ الجاهلون بعد البيان والإعذار إلا العناد والإصرار علىٰ ما هم عليه فإنهم

ينكرون عليهم ويفارقونهم. وإذا كانوا أصحاب سلطان وكانت السلطة بأيديهم فإنهم يوقعون عليهم العقوبة الرادعة، وإن لم يكونوا أصحاب سلطان نصحوا السلطان بأن يعاقبهم عقوبة تردعهم عن جهلهم.

قال رَحِمَهُ اللهُ خاتمًا: (هذا أصل الدين والمذهب) دين أهل السنة والجماعة ومذهب أهل السنة وَالْجَمَاعَة.

(اعتقاد أئمة أهل الحديث، الذين لم تشنهم بدعة) يعني لم يتلبسوا ببدعة تعيبهم وتشينهم.

(ولم تلبسهم فتنة) فسلموا من الفتن بلزوم السُّنَّة.

(ولم يخفوا إلىٰ مكروه في دين) فتمسكوا معتصمين بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا عنه، هذا ختام بما بدأناه، فنحن بدأنا بأن الدين يقوم علىٰ أمرين عظيمين:

اَلْأَوَّلُ: الاعتصام بحبل الله وهو الأساس.

الثَّانِي: عدم التَّفَرُّق، وهذا هو حال أهل السنة وَالْجَمَاعَة.

قَالَ: (واعلموا أن الله تعالىٰ أوجب في كتابه محبته ومغفرته لمتبعي رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتابه) يعني لزوم السنة يُوصل إلىٰ محبة الله ومغفرة الذنوب.

قَالَ: (وجعلهم الفرقة الناجية والجماعة المتبعة، فقال عزّ وجلّ لمن ادعىٰ أنه يحب الله عز وجل: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [آل عمران: ٣١]) فمن أراد أن يحبه الله فليتبع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن أراد أن يغفر الله ذنبه فليتبع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولذلك قال العلماء إن لزوم السنة من أسباب تكفير الذنوب.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (نفعنا الله وإياكم بالعلم) نعم والله يا إخوة! العلم لا يكون خيرًا إلا إذا نفع، فطالب العلم ينبغي إذا اجتهد في طلب العلم أن يجتهد في الدعاء أن ينفعه الله بالعلم، وأن يرزقه العلم النافع. (نفعنا الله وإياكم بالعلم، وعصمنا بالتقوىٰ من الزيغ والضلالة بمنه ورحمته).

وبهذا نكون ختمنا هذا الكتاب.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يثبتنا علىٰ عقيدة أهل السنة وَالْجَمَاعَة، وأن يجعلنا خدامًا لها، داعين لها، وأن يثبتنا علىٰ ذلك إلىٰ أن نلقاه. أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن لا يعجزنا عن قول الحق، وعن دعوة الحق، وعن تعليم الناس الحق، وعن تعليم الناس ما ينفعهم.

بارك الله في الجميع، وتقبل الله من الجميع، والله تَعَالَىٰ أعلىٰ وأعلم، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ علىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد.

وَاللّٰهُ تَعَالَى أَعْلَى وأَعْلَمُ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ